الباب الأول

في الهمزة

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول

في الهمزة التي ترسم ألفاً في أول الكلمة

الهمزة التي في أول الكلمة حقيقةً[1] ترسم ألفاً مطلقاً، سواءٌ أكانت همزةَ قطع[2] أو همزة وصل[3] مضمومة، أو مفتوحة أو مكسورة، مثل: اسم، أب أخ، أخت، أم، إمام، أكرم، إكرام، اسكت.

---

(١) بخلاف الهمزة التي في أول الكلمة حكماً، وهي الهمزة، التي دخلت عليها همزة الاستفهام أو «ها» التنبيه أو اسم زمان أو لام مفتوحة، فتكتب حرفاً من جنس حركتها نفسها، نحو: هؤلاء، يومئذ، حينئذ، وقتئذ، صبيحتئذ، ليلتئذ، ساعتئذ، قبلئذ، بعدئذ، لأنت أعلم الناس، لئن لم تنتهوا، أئذا متنا، أئن ذكرتم، أئنك لأنت يوسف، أئفكاً ادعيت هذا الدَّعَي، أئنك إذاً لست ممن وعى، أؤنبئكم، أأسجد، أؤنزل.
هذا إذا لم تكن الهمزة التي في أول الكلمة همزة وصل، فإن كانت همزة وصل، فتحذف إذا دخلت عليها همزة الاستفهام، نحو: «أصطفى البنات على البنين» ونحو: «أشتريت هذا»؟ واعلم أنه لاتخرج الهمزة عن كونها أول الكلمة سين المضارعة، نحو: «سأكرم الضيف»، ولا أل والفاء وباء الجر وتاؤه وكافه ولامه ولام التعليل ولام القسم ولام الابتداء والواو.
وإن دخلت عليها اللام المكسورة، تبقى على حالها، نحو: لأنك تقول الحق، لإيلاف قريش إيلافهم، هذا إذا لم تكن اللام المكسورة داخلة على «أن» المصدرية الواقع بعدها «لا» النافية، فإن كانت داخلة على «أن» المصدرية الواقع بعدها «لا» النافية، كتبت همزة الكلمة ياء، نحو: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد:٢٩]، ونحو لئلا يكون عليك حرج. وإن دخلت عليها همزة الوصل فإن كانت مضمومة كتبت همزة الكلمة واواً، نحو: اوتمن الرجل، وإن كانت همزة الوصل مكسورة، كتبت همزة الكلمة ياء، نحو: ايتزر، ايت، ايتمن، ايتمر، ايتماماً، ايتزاراً، ايتماناً، ايتماراً. مالم يتقدم الهمزة الأولى في الماضي والأمر فاء أو واو. فإن سبقها ذلك وأمن اللبس، حذفت الأولى، ورسمت الثانية ألفاً لحلولها محلها، نحو: فأتمن وأتوا جميعاً.

(٢) هي التي ينطق بها في الابتداء والوصل، مثل: أكرم وأجاب.

(٣) هي التي تثبت في التلفظ إذا وقعت في ابتداء الكلام، وتسقط فيه إذا جاءت أثناءه، مثل: استخراج وكذا إن مدت مفتوحة، كتبت ألفاً عليها مدة، مثل: آخذ، آمر، آثر، آمن.

المبحث الثاني

في الهمزة التي ترسم ألفاً في وسط الكلمة

الهمزة التي في وسط الكلمة تُكتب ألفاً في ثلاثة مواضع:

١- إذا كانت ساكنة بعد فتح: كرأس، كأس، بأس، رأي، طمأنينة، يأمر، مأرب، وَأْمر، فأت.

٢- أو كانت مفتوحة بعد فتح، كسأل، متأمل، نأى، الحدأة، يتأخر، اتَّأَد، اشمأزّ، قرأ، يقرآن، سآمة.

٣- أو كانت مفتوحة بعد حرف صحيح[١] ساكن، نحو: مرأة، مسألة، يَنْأَى، ملأى، جزأين، بطأين، دفأين، يسأل، يرأس، يدأب، نشأة، فجأة.

المبحث الثالث

في الهمزة التي تُرسم واواً في وسط الكلمة

الهمزة التي في وسط الكلمة تكتب واواً في خمسة مواضع:

١- إذا كانت ساكنة بعد ضمّ، كلؤلؤ، يؤمن، سؤل، لؤم، رؤية، سؤر، اؤتمن، مؤلم، بؤس.

٢- أو كانت مفتوحة بعد ضمّ كمُؤلِّف، سؤال، رؤال، يؤَجِّل، مؤَجِّل، مؤامرة، مُؤوَّل، الزُّؤام.

٣- أو كانت مضمومة بعد سكون، كأرؤس، التفاؤل، هاؤم، يلؤم، التضاؤل، التثاؤب، التشاؤم.

٤- أو كانت مضمومة بعد فتح، ولم يقع قبلها ولا بعدها حرف لين أو مد، نحو: نؤمّ، يَؤُمّ، لَؤُمَ، أَؤُلْقي، أَؤُوِّل.

---

(١) وإن كان الساكن معتلاً بالألف أو الواو، كتبت مفردة: نحو تساءل ودناءة ووضوء ومروءة وضوءان ومثلها المضمومة والمفتوحة بعد واو مشددة، نحو: «تبوءك» في حالتي الرفع والنصب- وإن كان الساكن معتلاً بالياء كتبت الهمزة على نبرة نحو شيئان إلى آخر ما سيأتي وإن وقع بعدها ألف للتثنية أو للفاعل أو للتنوين، ترسم مفردة إن لم يمكن اتصال ماقبلها بما بعدها، وترسم على نبرة إن أمكن. والواو المشددة قبل الهمزة كالواو الساكنة، نحو: التبوُّء.

٥- أو كانت مضمومة بعد ضمّ، نحو: نُؤُم وشُؤُن[١].

ملخص

الهمزة المتوسطة ترسم واواً في موضعين:

الأول: إذا كانت مضمومة وما قبلها مفتوح أو مضموم أو ساكن.

الثاني: إذا ضُمَّ ما قبلها وهي مفتوحة أو ساكنة.

المبحث الرابع

في الهمزة التي تُرسم ياء في وسط الكلمة

الهمزة التي في وسط الكلمة تكتب ياء في سبعة مواضع:

١- إذا كانت مضمومة بعد كسر، كَمِئون، فِئون.

٢- أو كانت مفتوحة بعد كسر، كَفِئة، رئة، ناشئة[٢].

٣- أو كانت ساكنة بعد كسر، كَبِئْر، بِئْسَ، ذِئْبَ.

٤- أو كانت مكسورة بعد كسر، كَمِئين، فئين، أبطئي.

٥- أو كانت مكسورة بعد ضمة، كسُئِل، دُئِل، رئي.

٦- أو كانت مكسورة بعد فتح، كمُطْمَئِنّ، يئِنّ، ضَئيل.

٧- أو كانت مكسورة بعد سكون مطلقاً صحيحاً أو معتلاً، كأسئلة، مسائل، أفئدة، وضُوئي، ضَوْئي.

ملخص

الهمزة المتوسطة ترسم ياء في موضعين:

---

(١) جَمْعَي نؤوم وشأن، إلاّ إذا وقع بعدها واو، فإنها ترسم مفردة إن لم يمكن اتصال ماقبلها بما بعدها كرءوف، وعلى نبرة إن أمكن ككئوس ويستثنى من ذلك ما يلتبس بغيره كشؤون وسؤول، فإن الهمزة ترسم على واو بعدها واو كما يأتي.

(٢) ويزاد قبل الياء ألف في مائة ومائتين، واعلم أن الهمزة المشددة كالهمزة المتحركة بعد متحرك، مثل ترأس ترؤساً - رئيس - مترئس- سؤال، وفي مثل هذا تكتب الهمزة والشدة خوف اللبس.

الأول: إذا كسرت وقبلها فتح أو كسر أو ضم أو سكون .

الثاني: إذا كسر ماقبلها وهي مفتوحة أو مضمومة أو ساكنة.

المبحث الخامس

في الهمزة التي تُرسم مفردة في وسط الكلمة

الهمزة التي في وسط الكلمة تُكتب مفردة بدون أن تُصَوَّر بحروف في موضعين:

الأول: إذا كانت مفتوحة وقبلها حرف مد أو لين ساكن[١] كتفاءل، السمَوْءل، جزاءان، جزْءين، قراءات.

الثاني: إذا وقع بعدها حرف مد، نحو: سوءى، مرءوس، رُءُوس، رَءُوف، إسراءيل، جبراءيل، الجاءي، رءيس[٢].

أمثلة على أحوال الهمزة المتوسطة

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً، أو ليصمت. تاج المروءة التواضع. لولا أن المروءة صعب محملها، لما ترك أصحاب اللؤم للكرام منها شيئاً. ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة، وجارك طاوٍ وغريمك عار، المروءة أنك لا تعمل عملاً في السر تستحي منه في العلانية. كُفْر النعمة لؤم، وصحبة الأحمق شؤم. الحكمة ضالة المؤمن، فَخُذْها ولو من أهل النفاق.

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز. نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع. رب رأي

---

(١) إلا إذا كانت الهمزة واقعة بعد ياء ساكنة مثل جيئل وخطيئة ومشيئة وبطيئين ورديئة وشيئان، فيرفع لها نبرة تركز عليها الهمزة حتى لا تفصل حروف الكلمة من بعضها، كما فعلوا ذلك في مسئول ومشئوم وفئوس ومئون وكئوس وفئون.

(٢) وبعضهم يرسم همزة الألفاظ الأربعة الأخيرة وماشاكلها على ياء بعد ياء كالنسائي، النائي، عزرائيل، ميكائيل، رئيس.

أنفع من مال، وحزم أنفع من رجال. لن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه.

لا تُمارِ[١] سفيهاً ولا حليماً، فإن السفيه يؤذيك، والحليم يقليك. لا تمنع العلمَ أهلَه، فتأثم. بالعدل والإنصاف تطول مدة الائتلاف. المزاح يورث الضغائن. من لا يعرف الخير من الشر، فألحقه بالبهائم. من استبد برأيه، خفت وطأته على أعدائه. لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده، فإن الناس لا يسألون كم فرغ منه، بل ينظرون إلى إتقانه وجودة صنفه.

أدب المرأة مذهبها لا ذهبها. وضاءة النفوس أنضر من وضاءة الأجساد. لا تكن حاطباً في حبلك، وموقداً ناراً ضوءها لغيرك، الحلم والأناة توءمان ينتجهما علوّ الهمَّة. من طلب من لئيم حاجة، فكمن طلب السمك في المفازة. الناس يرونك بقدر تصويرك لنفسك، فإن أعززتها، رُئيت عزيزة؛ وإن أهنتها، رُئيت مهانة.

من كثر كلامه كثر خطؤه؛ ومن كثر خطؤه قل حياؤه. من طاب منشؤه حسن مبدؤه. من أخذ كتاباً يقرؤه وأتم قراءته، فقد ذهب ظمؤه. إياك والسآمة في طلب الأمور فتقذفك الرجْلُ خلف أعقابها. ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب.

كلكم راع مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته. كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

[الطويل]

إِذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ الخَؤُونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَها شَرَّ مَسْنَدِ

قال أبقراط: «نحن نأكل لنعيش لا نعيش لنأكل».

---

(١) المماراة هي المجادلة والمماحكة، ومنه الآية الكريمة: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾.

المبحث السادس

في الهمزة التي في آخر الكلمة

لها أربع حالات[١]:

الحالة الأولى: تكتب ألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً، نحو: قرأ، ملجأ، صدأ، يملأ، يتبوَّأ، مُهَيَّأ، عَبَّأ الجيش.

الحالة الثانية: تكتب واواً إذا كان ما قبلها مضموماً، نحو: لؤلؤ، التطأطؤ، التباطؤ، هَزُؤ، وَضُؤ.

الحالة الثالثة: تكتب ياء إذا كان ما قبلها مكسوراً، نحو: منشىء، مبتدىء، قارىء، لم يجىء.

ففي هذه الأحوال الثلاث تُرسم على حرف من جنس حركة ما قبلها.

الحالة الرابعة: لا تُصَوَّر الهمزة بحرف من الحروف الثلاثة، بل توضع القطعة في محلها، وذلك في موضعين:

١- إذا كان ما قبلها ساكناً مطلقاً، سواء كان صحيحاً أو حرف علة، كجزء، جزاء، يسوء، بطء، ملء، صفاء، هناء، عزاء، يضيء، دنيء، جريء، يجيء، بريء.

٢- إذا كان ما قبلها واواً مشدَّدة مضمومة، كالتبوُّء.

أمثلة على أحوال الهمزة المتطرفة

ينبغي للمرء أن تكون ثقته في الشدائد بإخوانه وذوي قرابته وفي العهد والذمة بأهل الصدق، وفي المسكن بالمرأة الصالحة، وعند الموت بما قدم من الحسنات. ضربة الناصح خير من تحية الشانىء. أشدّ البلاء تأمُّر اللؤماء على الكرماء. إني لأعجب من الناس حيث مكنهم الله من الاقتداء بالملائكة، ثم هم يميلون إلى الاقتداء بالبهائم، اصطناع المعروف يقي مصارع السوء.

خذِ الحكمة ولايضرك من أي وعاء خرجت. قال أبقراط: «دواء كل

---

(١) (تنبيه): إذا اتصل بالهمزة المتطرفة تاء التأنيث أو ضمير الرفع المتحرك، كان حكمها كحكم الهمزة المتوسطة حقيقة، نحو: «قرأت فاطمة وظمئت». واعلم أن كل همزة صُوِّرت ياء لا تنقط مطلقاً.

امرىء مريض بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة تتطلع إلى هوائها، وتميل إلى غذائها». لا تكن كالذبابة تضيء للناس وهي تحترق. ثوب العارية لايدفىء، وإن أدفأ لايدوم. الطمع مطية سوء، مَنْ ركبها ذلّ، ومن صحبها ضلّ. سفير السوء يفسد ذات البين. وحدة المرء خير من جليس السوء.

الخلق السَّيِّء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل. الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء. هلك امرؤ لم يعرف قدر نفسه. المرء مخبوء تحت طيّ لسانه، لاتحت طيلسانه. لأن يخطىء القاضي في العفو، خير من أن يخطىء في العقوبة. الدليل على الحمق إعجاب المرء بنفسه. كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه. رب موت يجيء من طلب الحياة. المرء تواق إلى ما لم ينل. أحبّ شيء إلى الإنسان مامُنع. لاوفاء لمن ليس له حياء.

قال عليه الصلاة والسلام: «من أمن رجلاً على دمه فقتله، فأنا بريء من القاتل، ولو كان المقتول كافراً».

مفردات

قرء. ضوء. مسيء. نداء. نوء. دفء. ملء. مجيء.

تنبيهات

الأول: كل همزة مضمومة غير مكسور ماقبلها وما بعدها واو ساكنة تحذف صورتها. مثل: رءوس. مسئول[1]. كئوس. فئوس. يبدءون. اقرءوا. مرءوس. رءوف.

الثاني: كل همزة مفتوحة بعدها حرف مد من جنسها تحذف صورتها، مثل: مرآة وقرآن ورآسة إلا مع ألف الاثنين، فلا تحذف نحو: قرأا. بدأا. يبرأان. لم يقرأا. يقرأان. وإن كان ما قبلها ألفاً تكتب مفردة، نحو: «هما جاءا»، وإن كان بعدها ألف المثنى الحرفية، فإن سُكِّن ما قبلها، كتبت مفردة إن كان ما قبلها لايتصل بما بعدها، نحو: قُرْءان، مثنى (قُرءٍ[2])، وإن كان

(١) يستثنى: سؤول. شؤون. صؤون. قؤول. لؤوم. نؤوم. يؤوب. يؤوس. يؤول. قؤود. فتكتب الهمزة على واو منعاً لالتباس هذه الكلمات العشر بغيرها إن رسمت بواو واحدة.

(٢) القرء عند بعض فقهاء المذاهب الإسلامية هو الحيض، وعند بعضهم الآخر هو الطهر من الحيض.

يتصل به، تكتب على نبرة، نحو: بطئان، وإن تحرك ماقبلها، فإن كان مكسوراً أو مضموماً، تكتب على حرف مناسب لحركته، نحو: ملجئان ولؤلؤان، وإن كان ماقبلها مفتوحاً، تقلب مدة، نحو: مبدآن.

الثالث: كل همزة مكسورة بعدها حرف مد من جنسها غير ياء مخاطبة أو تكلم أو نسب قد تحذف صورتها، مثل : إسراءيل. جبراءيل. الجاءي. رءيس.

- ويصح رسم الهمزة على نبرة هكذا: إسرائيل، جبرائيل، ميكائيل، رئيس. كما سبق.

الرابع: كل همزة في أول الكلمة جاء بعدها مدّ مِن جنسها تكتب كما ينطق به، نحو: ائتمر، اؤمر، إلا الألف، فإنها تكتب مدّاً، مثل: آخذ، وإن سبقت الهمزة غير المفتوحة بالواو أو الفاء، حذفت همزة الوصل، ورسمت همزة الكلمة على ألف، مثل: وَأْمُرْ أَهْلك. وأْتموني بأهلكم أجمعين. فَأْذن لمن شئت منهم.

الخامس: الهمزة المشدَّدة تعطى حكم الهمزة المتحركة بعد متحرك، نحو: ترأَّس، ترؤساً، مترئس، رئيس، كما سلف.

السادس: إذا اجتمع همزة ومدة وشدة، حذفت الهمزة، ويُكتفَى في الكتابة بالمدّ، نحو: «لآل»، أي: بائع اللآلىء، وإذا اجتمعت همزة وشد كتبتا معاً، نحو : الترؤُّس.

السابع: همزة الوصل لاتوضع على الألف، ولو ابتدىء بما هي في أوله، لأن الهمزة من الشكل، والشكل يتبع الوصل لا الوقف والابتداء، وهمزة القطع تُوضع على الألف، فإن كانت مكسورة، وضعت الكسرة تحت الألف للتفرقة بين المكسورة وغيرها، ومثل ذلك إذا كان الحرف مشدَّداً بأن كان مكسوراً، وضعت الكسرة تحت الحرف والشدَّة فوقه.

وأما الهمزة المتوسطة، فتوضع فوق الألف أو الواو أو الياء.

تطبيقات عملية على أحوال الهمزة

١- بسم الله مبدئي ومن العَدَم منشئي

نستفتح الإملاء بحمد بارئ هذه الكائنات، ومنشئ هؤلاء المخلوقات، ومبدع الأرض والسموات، الرحمن الرحيم، العليّ الأعلى، جلّ شأنه، وتقدست أسماؤه، وله الشكر على آلائه التي لاتُحصى، ونعمائه التي لا تُستقصى، ونُصلّي ونُسلّم على خاتم أنبيائه الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه. ونشأ على أكمل الفضائل الحسنى من مبدأ صباه، حتى بلغ من ذرا الكمالات كل ما يتمناه. صلى الله عليه وعلى آله أولي الهدى. وأصحابه نجوم الاهتداء، المتلألئ نور هداهم في الأرض والسماء. أصحاب المآثر الغراء، والشيم الشمّاء. غرسوا الإيمان في أفئدة المؤمنين، النائين عن سوء البؤس وشؤم دناءة الأدنياء، وبذاءة لؤم اللئام. فحلّوا من بعدهم بضياء الهدى، وبلآلئ التقوى، وتمسّكوا بالسبب الأقوى، ففازوا بأعلى درجات الكمال.

٢- الأَدب

الأدب: كلمة جامعة لمحاسن الأفعال، وأحاسن الأقوال، وهو أكرم الخصال، ورافع الأحساب، به يحصل المرء على الرغائب الجليلة، ويتوصّل إلى نجاح المقاصد الجميلة. يرفع العبد المملوك، ويجلسه في مجالس الملوك. كما روي أن رجلاً قال لبعض العقلاء، وقد كان لا يحب زينة ثيابه: مالك لا تُجَمِّل الملبوس، وإنّ زينة الثياب تدلّ على حسن العقل: [السريع]

لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ في الوَرَى ... وَزِينَةُ المَرْءِ تَمَامُ الأَدَبْ

قَدْ يَشْرُفُ المَرْءُ بِآدابِهِ ... فِينَا وإِنْ كانَ وَضِيعَ الحَسَبْ

فقال له العاقل: ماصدقت، إنما يرفع المرء أدبه وعقله، لا حليته ولا حلته. قاتل الله امرأ يرضى أن ترفعه هيئته وجماله.

٣- ثمرة الأَدب

ينبغي للمرء أن يحترم الكبير، ويعطف على الصغير، وأن يعامل من هو مساوٍ له بما يحب أن يعامل به نفسه، وأن يمتثل أمر رئيسه بصفته مرؤوساً

له، وأن يكون حسن الألفاظ والإشارة، متباعداً عن دنيء الكلام. وأن يحفظ لسانه عن الفضول في الحديث، فلا يتكلم بما لايعنيه، ولا يدخل فيما لا يرضيه، وأن يكون بشوشاً لا يستهزئ بأصدقائه، ولا يزدري بأقرانه، وألاّ يكون فظاً غليظاً، وأن يتباعد عن اللؤم والحقد والحسد، وألاّ يمدح نفسه، وأن يكون حميد الفعال، حسن المعاشرة، كريم الخلق، متواضعاً ذا تؤدة في شؤونه، صدوقاً صموتاً.

١- آداب المجالسة

إذا جلست، فأقبلْ على جلسائك بالبشر والطلاقة، وليكن مجلسك هادئاً، وحديثك مرتباً، واحفظ لسانك من خطئه، وهذِّبْ ألفاظك، والتزمْ ترك الغيبة، ومجانبة الكذب، والعبث بإصبعك في أنفك، وكثرة البصاق، والتمطي والتثاؤب والتشاؤم، ولا تكثرِ الإشارة بيدك، واحذرِ الإيماء بطرفك إلى غيرك، ولا تلتفتْ إلى من وراءك. فمن حسنت آداب مجالسته، ثبتت في الأفئدة مودته، وحسنت عشرته، وكملت مروءته.

١- معاوية وعبد الملك بن مروان

المرء بأدبه لا بحسبه

ورد أن عبد الملك بن مروان استأذن على أمير المؤمنين معاوية في الدخول، فأذن له، ثم سلَّم عليه وجلس، وبعد أن فرغ من حديثه، قام وانصرف. فقال معاوية: ما أكملَ أدبَ هذا الفتى! فقال بعض الحاضرين: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أخذ بأخلاق أربعة، وترك أخلاقاً أربعة: أخذ بأحسن البشر إذا لقي، وبأحسن الحديث إذا حَدَّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأحسن الوفاء إذا وعد. وترك مزح من لايثق بعقله، وترك مجالسة من لا يرجع إلى الحق، وترك مخالطة من لا أدب عنده، وترك من القول والعمل كل ما يعتذر منه: [الكامل]

إن أَنْتَ جَالَسْتَ الرِّجَالَ ذَوْي النُّهَى ... فَاجْلِسْ إِلَيْهِمْ بِالْكَمَالْ مُؤَدَّبَا[1]

---

(١) النهى: العقول.

وَاسْمَعْ حَدِيثَهُمُ إِذا هُمْ حدَّثُوا وَاجْعَلْ حَدِيثَكَ إِنْ نَطَقْتَ مُهَذَّبَا

٦- فضائل العقل

العقل: قوة لطيفة درّاكة، أودعها الرؤوف الرحمن في المرء، بها يفرِّق بين الحق والباطل، وبها يميز الخطأ من الصواب، والعقل يميل بصاحبه إلى الحسنات، ودرء السيئات، ويعرض به عن رذائل الأعمال، ويرغِّبه في ابتداء صنائع المعروف، ويُبعده عما يكسبه عاراً، ويورثه شَناراً . وقد قيل لبعض الحكماء : بمَ يُعرف عقل المرء؟ فقال: بقلة سقطه في كلامه، وكثرة إصابته، فقيل فإن كان غائباً؟ فقال: بأحد شيئين: إما برسوله، وإما برسالته. فأما رسوله، فهو قائم مقام نفسه، وأما رسالته، فنصف نطق لسانه، وبها يعرف قدر عقله: [الطويل]

إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ وَمَآرِبُهْ

٧- العلم

إن العلم للنفس الإنسانية كمال تتحلَّى بفضائله، وهو نور العقل وسراج القلب، به تَنال الشرف، وتكتسب الفخر، وكم من وضيع الأصل عديم الحسب تعلَّم العلوم، فصار جليل الذكر، عالي القدر، معروفاً عند الوجهاء والأمراء، محترماً في مجالس الملوك والوزراء، تعظِّمه الناس، فإذا أقبل عليهم قاموا إليه، وإذا جلس، يجلسون بين يديه، وإذا انصرف عنهم، أثنى الجميع عليه.

١- المأمون وإبراهيم بن المهدي

اطلبِ العلم من المهد إلى اللحد

رُوي أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون، وعنده جماعة يتذاكرون في مسائل من العلم، فقال: يا هذا، هل لك معرفة بما يقول هؤلاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، شغلونا في الصِّغَر واشتغلنا في الكبر. فقال المأمون: لمَ لم تتعلم اليوم؟ فقال: أوَيَحسن بمثلي طلب العلم؟ فقال: نعم، والله لأن تموت

طالباً للعلم، خير من أن تعيش قانعاً بالجهل، قال: وإلى متى يحسن طلب العلم؟ قال: مادامت بك الحياة: [الطويل]

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ المَرْءُ يُولَدُ عَالِماً وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ المَحَافِلُ

٩- الاجتهاد

الاجتهاد: أساس نجاح الأعمال، والوسيلة إلى ارتقاء تدرج الكمال، فينبغي للعاقل إذا أراد أن يشرع في أي عمل تعود عليه منفعته، أن يجتهد فيه وألا يقدم غيره من الأعمال عليه، وأن يبذل طاقته ومجهوده في حصوله، وألا يؤخر عمل يومه إلى غده، لا يلهيه عنه دواعي الملاهي، ولا يثنيه عن المواظبة والعكوف عليه ناءٍ، حتى تظهر الثمرة المرغوبة، وتَبين الفائدة المغلوبة، والحذر من فتور الهمة بعد نشاطها، ومن تثبيط العزيمة بعد انبعاثها، فإن ذلك مما يجلب التأخُّر بعد الأخذ في أسباب الصلاح، والرجوع إلى ما وراء بعد التقدم والنجاح.

١٠ - الملك والصانع المجتهد

أمس لا يرد وغداً ليس في اليد

يُروى أن ملكاً من الملوك ركب في موكب عظيم، فخرجت الناس أفواجاً ينظرون إلى هذا الملك في زينته، حتى مرّ بامرئٍ يصنع شيئاً مُوجِّهاً فكره إليه، غير ملتفت إلى الملك لينظره، فوقف الملك عليه يتعجب من هيئته، وقال له مستطلعاً أفكاره: كل هذه الفئة تنظر إلى الموكب إلا أنت، فنهض ذلك المرء قائلاً: ياأيها الملك، أدام الله ملكك، إني رأيت الأيام تمرّ مرّ السحاب، وما رأيت أنفع ولا أبقى لابن آدم من عمل ينتفع به في حياته، وتنتفع به الناس بعد مماته، فها أنا أبذل في جميع أعمالي كل جهدي، ولا أؤخِّر عمل يومي إلى غد، ولا أشتغل بما لا بقاء له ولا فائدة فيه. فاستحسنَ الملك عقله، وأثنى عليه وانصرف.

١١- سليمان بن عبد الملك والأعرابي الفصيح

لا تَخْشَ في الحق لومة لائم

يقال إن سليمان بن عبد الملك كان مهيباً، لا يجرؤ امرؤ أن يكلِّمه، وكانت وزراؤه قد استأثروا بشؤون أغضبت العامة. فدخل عليه أعرابيّ فصيح اللسان، شديد العارضة، جريء الفؤاد، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنِّي مكلمُك بكلام، فاحتملْه إن كرهته، فإنّ وراءه ما تحب إن قبلته. قال: هات يا أعرابي. قال: سأطلق لساني بما سكتت عنه الألسن أداءً لحقّ الله وحق أمانتك، إنك قد أحاطت بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك.

فقال له سليمان: أما أنت فقد نصحت، إلا أنك جردت لسانك، فهو سيفك. فقال: أجل يا أمير المؤمنين، هو لك لا عليك: [الطويل]

لِسانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

١٢- حسن الخلق

حسن الخلق: أن يكون المرء لَيِّن الجانب، طَلْق الوجه، قليل النفور، طيِّب الكلمة، تدوم بين الشعب محبته، وتتأكَّد مودته، وتُقال عثرته[١]، وتهون زلّته، وتُغتفر ذنوبه، وتُستر عيوبه. فإذا حسنت أخلاق الإنسان، كثر مصافوه، وقل معادوه، وتسهَّلت إليه الأمور الصعاب، ولانت له الأفئدة الغضاب.

ومن ساءت أخلاقه، ضاقت أرزاقه، والناس منه في شؤم وبلاء، وهو من نفسه في تعب وعناء. وأما من ألان للخلق جانبه، واحتمل صاحبه، ولطفت معاشرته، وحسنت محادثته، مال إليه الخلق، واتسع له الرزق، وهو من نفسه في راحة، والناس منه في سلامة، وأدرك المطلوب، ونال كل أمر محبوب: [الوافر]

إِذَا لَـمْ تَتَّسِعْ أَخْلاقُ قَوْمٍ ... تَضِيقُ بِهِمْ فَسِيحَاتُ الْبِلاَدِ

---

(١) العَثْرَةُ: هي الزَّلَّة.

١٣- المروءة

المروءة: صفة جامعة لصفات الكمال، حاوية لمحاسن الخصال، وسجيَّة جُبل على التخلُّق بها ذوو النفوس الزَّكِيَّة، وشيمة طُبعت على حبها أولو الهمم العلية. وأعظم فضائلها منفعة تعود على بني الإنسان مثل مواساة الإخوان وإغاثة الملهوف، وإعانة الضعيف، وحفظ العهد، والوفاء بالوعد، والتعفُّف عن الحرام، والتخلّق بأخلاق الكرام، ومودّة القربى، وصلة الأرحام، وقضاء حوائج الناس، والإنصاف في الحكم، والكفّ عن الظلم.

١٤- الإخاء

ينبغي للإنسان ألاّ يتخذ من إخوانه إلا من اختبر شؤونه قبل إخائه، وكشف عن أخلاقه قبل اصطفائه. فمن وجده محمود الطبائع، مرضي الأفعال، مُحبّاً للخير، آمراً به، كارهاً للسوء وللشر، نائياً عنه، حافظاً لعهده، ذاكراً لوده، اتخذه صديقاً وحبيباً ورفيقاً. وليحذر المرء مصاحبة الأشرار اللئام، فإنَّ مودَّة الدنيء الشرير تُكثر الأعداء، وتُفسد الأخلاق. ولا خير في مودَّة تجلب عداوى وتُورث مذمَّة، فالعاقل يجب عليه أن يصطفي من الإخوان ذا الدين والحسب، والرأي والأدب. فإنه يكون مساعِداً له على نوائب الدهر، وعوناً له على حاجته.

١٥- الوزير المهلبي وعبد الله

مقابلة الإحسان بالإحسان. وكما يدين المرء يدان

قيل إن الوزير المهلبي سافر قبل أن يتولى الوزارة، فلحقه في سفره عبء شديد بسبب فقره وضيق حاله، وقد صحبه امرؤ عاقل، يقال له: عبد الله، كان أخاً صدقاً له، حافظاً لعهده، ذاكراً لوده، معيناً له على حاجته، مساعداً له على شدته، قائماً بكل ما يحتاجه.

ثم إن الأيام فرَّقت بينهما وتقلَّبت بهما، حتى أوصلت المهلبي إلى منصب الوزارة، فصفا عيشه، وحسنت هيئته، وأوصلت رفيقه إلى هيئة سيِّئة

يرثي لها العدوّ اللئيم، والصديق الحميم، فبلغه وزارة المهلبي، فقصده وكتب إليه يُذكِّره بعهده، فقرَّبه من مجلسه، ووصله بصلات الملوك والأمراء، وقلَّده ولاية من الولايات. فهكذا يكون الإخاء والمودة والمروءة: [الكامل]

دَعْوَى الإِخَاءِ عَلَى الرَّخَاءِ كَثِيرَةٌ وَمَعَ الشَّدَائِدِ تُعْرَفُ الإِخْوانُ

١٦- الوفاء

الوفاء: مراعاة العهد، وتجنب خلف الوعد، وحفظ الود، وهو أحسن شمائل الإنسان، وأوضح دلائل الفضائل والإحسان، وأقوى وسائل أسباب المجد، وأحق الأفعال بالشكر والحمد، تمس الحاجة إليه، وتجب المحافظة عليه. فمن تحلَّى بالوفاء، وتخلَّى عن الجفاء، وراعى عهد إخوانه، وحفظ حقوق أوطانه، وجبت مودته، وحسنت سيرته، وكملت مروءته: [الكامل]

ثَبَتَتْ عَلَى حِفْظِ العُهُودِ قُلُوبُنَا إِنَّ الوَفَاءَ سَجِيَّةُ الأَحْرارِ

١٧- التواضع

التواضع: سهولة الأخلاق، وتجنُّب العظمة والكبرياء، والتباعد عن الإعجاب والخُيلاء، وهو حلية يتحلَّى بها الإنسان إن كان عاطلاً، ويرفع ذكره إن كان خاملاً، وبه يسمو في الدنيا قدره، ويعظم فيها خطره. يتملك صاحبه مودة القلوب، وينال كل مرغوب ومحبوب، وبه يجتلب المجد، ويكتسب الحمد.

وضده الكبر: وهو أقبح وصف يسلب من الإنسان الفضائل، ويكسبه النقائص والرذائل، يوغر[1] صدور الإخوان، ويبعد مودة الخلان، يظهر السيئة، ويخفي الحسنة، ويهدم كل فضيلة مستحسنة، يثير الحقد والحسد، ويوجب لصاحبه الذم والنكد، ويُري صاحبه علو همَّته وإن كانت ساقطة، ويَظنُّ الرضى من الناس ولو كانت ساخطة.

---

(١) وَغَرَ فلانٌ: امتلأ غيظاً وحقداً.

١٨- الحياء

الحياء: حلّة جمال، وحلية كمال. يُحترم في عيون الناس صاحبه، ويزداد قدره، ويُعَظَّم جانبه. وإذا رأى ما يكره، غضَّ بصره عنه. وكلما رأى خيراً، قبله وتلقاه، أو أبصر شراً تحاماه. يمتنع عن البَغْي والعدوان، ويحذَر الفسوق والعصيان، يخاطب الناس وكأنه منهم في خجل، ويتجنَّب محارم الله عزّ وجل. فمن لبس ثوب الحياء، استوجب من الخلق الثناء، ومالت إليه القلوب، ونال كل أمر محبوب. ومن قل حياؤه، قلَّتْ أحبّاؤه.

١٩- الإمام علي والأعرابي

ربّ إشارة أبلغ من عبارة

يروى أنه بينما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرَّمَ الله وجهه، أيام خلافته جالساً في ضواحي المدينة، إذ وفد عليه أعرابي يسأله حاجته، والحياء يمنعه أن يذكرها له، فخطَّ بعصاه على الرمل هذين البيتين: [الكامل]

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُبَاعُ بِدِرْهَمِ ... تُنْبِيكَ حَالَةُ مَنْظرِي عَنْ مَخْبَرِي
إِلاَّ بَقِيَّةُ مَاءِ وَجْهٍ صُنْتُهُ ... عَنْ أَنْ يُبَاعَ وَقَدْ أَبَحْتُكَ فَاشْتَرِ

فما قرأهما، حتى وافاه رسول يخبره أن نصيب أمير المؤمنين في الغنيمة من الفضة محمول على أربعة جمال بباب المدينة. فقال: هي هبة لهذا الأعرابي. وقال: [الكامل]

وَافَيْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بِرِّنَا ... فَاهْنَأْ وَلَوْ أَمْهَلْتَنَا لَمْ نَقْتُرِ
فَخُذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَبِعْ ... مَاءَ الْحَيَا وَكَأَنَّنَا لَمْ نَشْتَرِ

٢٠- الحلم

الحلم: هو سكون النفس عند دواعي الغضب مَعَ ترك الانتقام. وهو من أشرف الأخلاق وأكرمها، وأعلى مراتب الكمال وأعظمها. يبلغ صاحبه ذروة المجد، ويُكسبه جميل الحمد. به يصون الإنسان عرضه، ولا ينال منه السفيه غرضه. يعصم النفس عن مواقع الندم. ولذا قيل: ماقرن شيء أزين من حلم

إلى علم، ومن عفو إلى قدرة. ويدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف. واحتمال السفيه خير من مشابهته، والإغضاء عن الجاهل خير من مناضلته. وبالحلم تكثر الأنصار، وتدفع الأشرار، فمن غرس شجر الحلم، اجتنى ثمر السلم.

٢١- الإمام علي والفارسي

الحلم سيد الأخلاق

يروى أن علي بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه، لقي كبيراً من كبراء فارس، فقال: من أحْمَدُ ملوككم سيرةً؟ قال: أحمدهم سيرةً أنو شروان، فقال له: ما كان أغلبُ خصاله عليه؟ قال: الحلم والأناة. فقال له علي: توأمان ينتجهما علوّ الهمة: [الوافر]

أُحِبُّ مَكارِمَ الأَخْلاَقِ جُهْدِي ... وَأَكْرَهُ أَنْ أُعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا
وَأَصْفَحُ عَنْ سِبَابِ النَّاسِ حِلْماً ... وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا
وَمَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّبُوهُ ... وَمَنْ حَقَرَ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

٢٢- الصبر

الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى، يقضي لصاحبه بالسيادة، ويكسوه فضيلة الحزم، ويدفع عنه نقيصة الحرمان. يكبت العدو الألد. ويغيظ الحسود الأشدّ. تحمد عقباه، ويبلغ صاحبه مناه. فكثيراً ما أدرك الصابر مُرامه أو كاد. وفات المستعجل غرضه أو كاد. فمن هداه الله بنور توفيقه، ألهمه الصبر في مواطنه، والتثبّت في حركاته وسكناته.

٢٣- الجَزَع أتعب من الصبر

يُروى عن بعض الحكماء، وقد رأى رجلاً أصيب بمصيبة عظمت عليه، أنه قال: الجزَع أتعب من الصبر، ففي الجزع التعب والوزْر، وفي الصبر الراحة والأجْر. ولو صُوِّرَ الجَزَع والصبر، لكان الصبر أحسن صورة، وأكرم طبيعة. وكان الجزع أقبح صورة، وأخبث طبيعة، ولكن الصبر أولاهما بالغلبة لحسن الخلقة وكرم السجية: [البسيط]

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةُ الأَثَرِ

وَقَـلَّ مَـنْ جَـدَّ فـي شَـيْءٍ يُـؤَمِّـلُـهُ واسْـتَـعْـمَـلَ الـصَّـبْـرَ إلاَّ فَـازَ بِـالـظَّـفَـرِ

٢٤- الكرم

الكرم: بذْل المال بغير إسراف. والتصرُّف الحسن بغير إتلاف. وهو أشرف وصف يتزيَّن به الإنسان، وأجمل أثر يكسب صاحبه الثناء مدى الأزمان، وقد حثَّ على التحلي به أولو النفوس العليَّة، وحضت على التخلق به ذوو الأخلاق المرضية، فقد قيل: ذلِّلوا أخلاقكم للمطالب، وعوِّدوها المحامد، وعلِّمُوها المكارم، وتحلّوا بالجود، يلبسكم ثوب المحبة . فمن جاد ساد، ومن ساد شاد، وخير المال ما أفاد حمداً، ونفى ذمّاً وصان عرضاً، وأدَّى فرضاً.

٢٥- الإنصاف

الإنصاف: هو استيفاء الحقوق واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة، وهو والعدل توأمان نتيجتهما علوّ الهمة، وبراءة الذمة، باكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل. فالإنصاف استثمار، والعدل استكثار. ولذا قيل: «حق على من مَلَّكَه الله بلادَه، وحَكَّمه في عباده، أن يكون لنفسه مالكاً، وللهوى تاركاً، وللغيظ كاظماً، وللظلم هاضماً، وللعدل في حالتي الرضا والغضب مظهراً، وللحق في السر والعلانية مؤثراً»: [الوافر]

لِـكُـلِّ وِلايَـةٍ لا بُـدَّ عَـزْلُ وَصَـرْفُ الـدَّهْـرِ عَـقْـدٌ ثُـمَّ حَـلُّ
وَأَحْـسَـنُ سِـيـرَةٍ تَـبْـقَـى لِـوَالٍ عَـلَـى الأَيَّـامِ إِحْـسَـانٌ وَعَـدْلُ

٢٦- الصدق

الصدق: هو أن تُنبئ عن الشيء على ما هو عليه، وهو وصف يدعو إليه الدين والعقل والمروءة وحب الثناء، والاشتهار بالفضائل، فلا مزيَّة أجمل منه، ولا سجية أكمل منه، ولا عطيَّة أشرف منه، ولا سمعة ألطف منه، ولا أثر أنفع منه، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩ .

والكذب من أقبح الرذائل، وأسوأ الوسائل، صفة لؤم وشؤم، بل عادة دنيئة رديئة، تؤوب بالعار والشَّنار والهلاك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال عليه السلام: «دع مايريبك إلى ما لا يريبك»، فمن الكذب ريبة، والصدق طمأنينة.

٢٧- ولاة الأمور

ولاة الأمور: هم الرؤساء الأُلى بواسطتهم يُنصر الدين، فتقام الحدود، وتؤَدَّى الفروض، وتُؤلف الأَجْناد، وتعظم البلاد، وتحفظ أرواح العباد، ويشيد عماد التربية والتعليم، وغير ذلك مما يرفع طوارئ الجَوْر والعدوان، ويكفل حصول الأمن واستتباب الراحة والأمان، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2].

٢٨- الشعراء في مجلس عبد الملك

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل: وهم ثلاثة من رؤساء الشعراء، في مجلس عبد الملك، فأحضر لهم رهاناً من المال، وقال: ليقلْ كلُّ امرئٍ منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيُّكم غلب وظفر، فله هذا الرِّهان، فبادر الفرزدق، وقال: [الوافر]

أَنَا الْقَطِرَانُ وَالشُّعَرَاءُ جَرْبَى ... وَفِي الْقَطِرَانِ لِلْجَرْبَى شِفَاءُ

وقام الأخطل فقال: [الوافر]

فَإِن تَكُ زِقَّ زَامِلَةٍ فَإِنِّي ... أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ[3]

ونشط جرير وقال: [الوافر]

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتِي عَلَيْكُمْ ... فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنْهُ نَجَاءُ

فقال له عبد الملك: لك الرهان، فقد غلبت خصميك، فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩ .

(٣) الزاملة مؤنث الزامل، وهي ما يحمل عليه من الإبل وغيرها.

٢٩- خالد بن عبد الله والأَعرابي

حسن الجواب والخطاب

[الطويل]

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ ... سِوَى أَنَّنِي عَافٍ وأَنْتَ جَوَادُ
أَخَالِدُ بَيْنَ الحَمْدِ والأَجْرِ حَاجَتِي ... فَأَيَّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ[1]

فقال خالد: سَلْ حاجتك. قال الأعرابي: مائة ألف درهم. قال خالد: أسرَفْت يا أخا العرب، فاحططنا منها. قال الأعرابي: حططتك ألفاً. فقال له: ما أعجب ما سألت وما حططت!!! قال الأعرابي: لا يعجب الأمير، سألته على قدره، وحططته على قدري.

٣٠- الحجّاج والأعرابي

الحركة والسكون بيد الله تعالى

حجّ الحجّاج، فنزل بين مكة والمدينة، وطلب الغداء. وقال لرسوله: اذهبْ وتحرَّ من يأكل معي. فولَّى الرسول وجهه شطر الجبل، فإذا هو براعٍ نائم، فلَكزه بيده، وقال: ائتِ الأمير. فلمَّا مَثُلَ بين يدي الحجاج، قال له: اغسلْ يديك، وتغدَّ معي. فقال الأعرابي: دعاني من هو خير منك فأجبته. قال: من هو؟ فقال: دعاني الرؤوف الأعلى إلى الصيام، فصمت. قال: أفطرْ، وصمْ غداً. فقال: إن ضمنتَ لي البقاء إلى غد. قال: ليس ذلك إلي. فقال: كيف تسألني عاجلاً بآجل لاتَقدر عليه؟ قال: لأنه طعام طيب. فقال: لم تُطَيِّبْه أنت، ولكن طَيَّبتْه العافية.

٣١- أبو تمام والكندي

سرعة الخاطر وفصاحة اللسان

امتدحَ أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدة، فلما بلغ إلى قوله: [الكامل]

إِقْدَامُ عمرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

---

(١) العماد: رئيس العشيرة أو القبيلة أو هو الذي يعتمد عليه في عظائم الأمور.

قال له الكندي بجرأة وثبات: الأمير فوق من وصفت. فأطرق أبو تمام مليّاً، ثم قال: [الكامل]

لا تُنكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دونَهُ ... مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلاً مِنَ الْمِشْكَاةِ والنِبْراسِ

فسكت الكندي، وأعجبت الفئة الحاضرة لفطنة أبي تمام وأصالة رأيه، وجودة فكره، وسرعة فؤاده.

٣٢- المنصور والواشي

صِدْق الجواب منجاة من العقاب

وشى بعضهم إلى المنصور برجل، فأمر بإحضاره، ولما مَثُل بين يديه، قال له: لقد أتيتَ أمراً إدّاً[1] سيِّئاً، أوجب عليك العقاب. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، ذنبي السوء أعظم من نَقْمَتك، وعفوك أوسع من ذنبي. وأنشد قائلاً: [الطويل]

فَهَبْنِي مُسِيئاً كَالَّذِي قُلْتَ ظَالِماً ... فَعَفْواً جَمِيلاً كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ لِسُوء مَا ... أَتَيْتُ بِهِ أَهْلاً فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ

فقال له المنصور: لولا جوابك، لما تركتُ عقابك.

٣٣- معاوية وضئيل

كمال الرجل آدابه لا ثيابه

نظر معاوية إلى امرئ ضئيل في مجلسه، عليه عباءة رديئة رثّة، فازدراه مستهزئاً به، وأبى مجاذبته أطراف الحديث. فاستشعر ذلك المرء بسوء نيَّة معاوية له، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلِّمك، إنما يكلمك من فيها، وأنشد قائلاً: [البسيط]

إنّي وَإِنْ كَانَت أثوابِي مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلاَ مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي المَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي ... فَصَاحَةٌ وُلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ

---

(١) الإد: الأمر الداهي المنكر ومنه الآية الكريمة ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾.

فخجل معاوية من جوابه، وبالغ في إكرامه واحترامه.

٣٤- الأمانة

الأمانة هي : أن تؤدّي حقوق الرؤوف الأعلى، وألاّ تفشي سر من أودع إليك شؤونه، وألا تنقض عهد من عاهدته، وألا تختلس ماليس لك فيه حق، وألاتغشّ امرأ في معاملاتك، وأن تحافظ على من جعل تحت رعايتك. قال عليه الصلاة والسلام: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له». [الكامل]

وَإِذَا اؤْتُمِنْتَ عَلَى الأَمَانَةِ فَارْعَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الأَمَانَةِ رَاعِي

فالأمانة عليها مدار عموم المعاملات ونجاحها. وهي أصل من أصول الديانات. ولذلك أكدت جميع الشرائع وجوب رعايتها، والحثّ على الاتصاف بها.

٣٥- الدين

الدين هو الذي أرشدنا إلى أن لنا خالقاً رؤوفاً رحيماً، أنعم علينا بنعم هذه الحياة الدنيا، وأعد في الآخرة مكافأة حسنة يكافئ بها المحسنين، كما أعدّ عقاباً شديداً للمسيئين، فإذا اعتقد المرء منا أن هناك جزاءً طيباً للمحسن، وعذاباً أليماً للمسيء، فإنه يصنع الفضائل والحسنات، ويتجنَّب الرذائل والسيِّئات، وهو الذي هدانا إلى أن الصدق، والحياء، والأمانة، والعدل، أخلاق فاضلة، وصفات كاملة، وعليها نظام المعاملات. وأن الكذب، والخيانة، والدناءة، والسوء، والتجرؤ على الجور والظلم، هي أسباب فساد المعاملات، وخراب الأمم.

٣٦- الرفق بالحيوانات والشفقة عليها

قد أوجبت جميع الشرائع والأديان، الرفق بالحيوان، وقامت الأمم المتمدِّنة للدفاع عنها، والشفقة والحنوّ عليها، لضعفها عن الشكوى، وعدم قدرتها على النطق، قال عليه السلام: «اتقوا الله في البهائم المعجمة،

فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة». وقد سخَّرها المولى لمنافعنا وقضاء لوازمنا، من حمل ما لانطيق حمله من العبء الثقيل، ومن حملنا في أسفارنا، واتخاذ قوتنا من ألبانها، ولحومها، واصطناع ملابس وفرش من أصوافها وأوبارها وأشعارها، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

٣٧- عبد الله بن جعفر والأعرابي

لو كان الفقر رجلاً لقتلته

بينما كان عبد الله بن جعفر راكباً، إذ تعرَّض له أعرابيّ، وأمسك بعنان فرسه، وقال: يا أيها الأمير، سألتك بالله أن تضرب عنقي، فقال له الأمير: أمَعْتوه أنت؟ فقال الأعرابي: لا ورأْسِ الأمير.

قال: فما خَطْبك أيها الأعرابي؟ قال: لي خصم سوء ليس لي به طاقة: فقال له الأمير: ومن خصمك هذا؟ فقال له: الفقر، فالتفت الأمير إلى مرؤوس له، وقال: ادفع إليه ألف دينار، ثم قال له: خذها ونحن مسؤولون، ولكن إذا عاد إليك، فأتنا، فإنّا مُنْصفوك منه. فقال الأعرابي: أطال المولى بقاءك، إن معي من جودك ما أدحض به حجة خصمي بقية عمري.

٣٨- كسرى وحاجب بن زرارة

المرء بقرينه

جاء حاجب بن زرارة على باب كسرى، فحال الحاجب بينه وبين الوصول. فقال له: قلْ للملك إن بالباب امرأ من العرب يريد المثول بين يديك. فلما أذن له بالدخول، قال له: من أنت؟ فقال: سيد العرب.

قال كسرى: ألست القائل إنك امرؤ من العرب؟ فقال: نعم، قلت ذلك

---

(١) سورة النحل، الآيات من ٥ إلى ٨ .

قبل وصولي إليك، ومثولي بين يديك. أما الآن، وقد تشرّفت بخدمتك، وحظيت برؤيتك، فقد صرت سيد العرب، فقال له كسرى: لله درك، أجبتَ فأعجبتَ.

٣٩- معاوية وزياد

طلب زياد رجلاً، فلجأ إلى أمير المؤمنين معاوية، واحتمى به، فكتب زياد إلى معاوية يقول له: إن هذا اللّين مسيء لشؤوني ومفسد لأعمالي، إذا طلبتُ امرأً، لجأ إليك ولاذَ بك. فكتب معاوية إليه يقول: إنه لاينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة، فيكون مقامنا مقام رجل واحد، ولكن فلتكن أنت للشدة والخشونة، ولأكنْ أنا للرأفة والرحمة، فيستريح الناس فيما بيننا.

٤٠- المأمون والمتظلم

حسن الجواب يستوجب العفو

سار المأمون مع يحيى بن أكثم، وبينما هما في الطريق، إذ خرج عليهما رجل فجأة، فنفرت منه دابة المأمون، وألقته على الأرض، فأمر بضرب عنق ذلك الرجل، فقال: يا أمير يالمؤمنين، أمهلْني حتى أكلمك، وافعلْ ما بدا لك.

قال: قُلْ، وأوجزْ. فقال: إن الرجل المضطر يركب الصعب من الأمور، وهو عالم بركوبه، ويتجاوز الأدب، وهو كاره لتجاوزه، ولو أحسنت الأيام مطالبتي، لأحسنت مطالبتك، ولأنت على ردّ مالم تفعل أقدر مني على ردّ ما قد فعلت، فعطف عليه المأمون، وقال ليحيى: ألا تنظر مخاطبة هذا الرجل؟ ثم عفا عنه، وأمر له بصلة، واعتذر إليه.

٤١- المنذر بن ماء السماء وضمرة بن ضمرة

المرء بأصغريه: قلبه ولسانه

دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء، والمنذر إذ ذاك ملك الحيرة واليمامة. وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وشجاعة وحكمة. غير أنه

كان دميم الخلقة، قصير القامة، وكان أمره قد شاع وذاع لخصاله المحمودة، وأعماله المشكورة. فلما رآه المنذر، احتقره، وقال: «سماعك بالمعيديّ خير من أن تراه»[١].

فقال له ضمرة: أيها الملك، ليس المرء بحسنه وجماله، وبهائه وكماله، وهيئته وثيابه. لا والله حتى يشرف أصغراه. لسانه وقلبه، ويعلو أكبراه. همّته ولبّه، وقد قال الشاعر: [الطويل]

وَمَا الْمَرْءُ إلاَّ الْأَصْغَرَانِ فَقَلْبُهُ وَمَقُولُهُ، وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

فعطف عليه المنذر، وأمر له بصلة، فأخذها ومضى.

٤٢- الملك والناصح والحسود

على الباغي تدور الدوائر

يُروى أن رجلاً كان يقف كل يوم عند ملك من الملوك، ويقول له: «أحسنْ إلى المحسن بإحسانه، والمسيء ستكفيه مساعيه»، وكان الملك يحسن إليه. فحسده على ذلك أحد أصحابه، ووشى به لدى الملك، فكتب بيده إلى عامله: إذا وصلك كتابي هذا، فاذبحْ حامله، وابعثْ إليَّ برأسه. ثم دفع الكتاب إلى الرجل الناصح، فأخذه وخرج.

فقابله صاحبه، وقال له: ما هذا؟ قال: كتاب بخط الملك. فقال له الحاسد: هَبْه لي، فإنّي محتاج. فدفعه الناصح إليه شفقةً ورحمةً به. فأخذه ومضى إلى العامل، فأنفذ به العامل أمر الملك. أما الناصح، فذهب كعادته وقال مقالته، فقال له الملك: مافعلت بالكتاب؟ قال: دفعته إلى فلان بعد أن طلبه مني. فقال الملك: إنه ذكرك عندي بسوء. فبرأ الناصح نفسه، وصدقه الملك. وجيء برأس الحاسد، فقال الملك: صدقتَ، وصدقَتْ موعظتك، قم كما كنت تقوم، وقل كما كنت تقول.

---

(١) هذا القول مثل عربي مشهور، أورده الميداني في كتابه القيّم (مجمع الأمثال ١/ ٢٢٧) وهو يضرب لمن خبره خير من مرآه.

٤٣- الأعرابي والإمام علي كرم الله وجهه

الإحسان في الطلب يستوجب الإعطاء

قَدِمَ أعرابي على علي بن أبي طالب، كرَّمَ الله وجهه، فقال: يا أمير المؤمنين، لي إليك حاجة يمنعني حيائي أن أذكرها لك، فقال له: يا أعرابي، خُطَّها في الأرض، فَخَط: إني فقير. فقال علي لغلامه: اكْسُه حُلّتي. فكساه الحلة، فأنشد الأعرابي يقول: [البسيط]

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُها ... فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا

إنْ نِلْتَ حُسْنَ ثَنَاءٍ نِلْتَ مَكْرُمَةً ... وَلَسْتَ تَبْغِي بِما قَدْ نِلْتَهُ بَدَلا

إنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صاحِبِهِ ... كَالْغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا

لاَ تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ ... كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَا

فأمر له بمال، فأخذه الأعرابي، ومضى فرحاً مسروراً.

٤٤- إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب

الحاكم العادل نصير الحق

تنازع إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب في مجلس الحكم في عقار، فأغلظ له إبراهيم القول، وكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فغضب وقال له: يا إبراهيم، إذا نازعت في مجلس الحكم امرأً، فلا ترفع عليه صوتاً، ولا تشرْ بيدك. وليكن قصدك أَمَماً[1]، وطريقك نهجاً، وكلامك معتدلاً، ووفِّ مجالسَ الخليفة حقها من التوقير والتعظيم، والاستكانة والتوجه إلى الحق، فإن ذلك أشكل بك، وأجمل بمذهبك في محتدك وعظيم خطرك، ولا تعجلنَّ، فربَّ عجلةٍ تهبُ ريثاً، والله يعصمك من الزلل وخطل[2] القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل، إن ربَّك عليم حكيم.

فقال إبراهيم: أمرتَ، أصلحك الله، بسَداد، وحضضت على رشاد،

---

(١) الأَمَم: السهل التناول، والقريب المأخذ.

(٢) الخطل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب.

ولست عائداً لما يثلم[١] قدري عندك، ويسقطني من عينيك، ويخرجني عن مقدار الواجب إلى الاعتذار. فهأنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقرّ بذنبه، باخع بجرمه، لأن الغضب لا يزال يستفزني بمراده، فيردني مثلك بحلمه. وتلك عادة عندك وعندنا فيك، وحسبنا الله، ونعم الوكيل، وقد جعلت مني هذا العقار لبختيشوع، فليت ذلك يكون وافياً بأرش الجناية عليه، ولم يتلف مال أفاد موعظة، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق.

٤٥- معاوية وأحد مخالفيه

حسن الاعتذار يستوجب الصفح

بعث زياد إلى معاوية برجل من بني تميم كان من أهل الفتنة، فلما مَثُل بين يديه، قال له معاوية: أنت القائم علينا، المُكثر لعدوّنا؟! قال: يا أمير المؤمنين، إنما كانت فتنة عمّ عماها، وأظلم دجاها، ورجح فيها الوضيع، وخف الحليم والرفيع، فاحتدمت، وأكلت علينا وشربت، حتى إذا انحسرت ظلماؤها، وانكشف غطاؤها، آل الأمر إلى مآله، وصَرَّح عن محضه، وارتفع العبوس، وثابت النفوس، فتركنا فتنتنا وتركنا عصمتنا، وعرفنا خليفتنا، ومن يجد منا باً، لم يرد الله به عقاباً، ومن يستغفر الله، يجدِ الله غفوراً رحيماً. فعجب معاوية من فصاحته، وجميل اعتذاره، وعفا عنه، وأحسن إليه.

٤٦- أنو شروان ووزيره

من صبر ظفر

غضب أنو شروان على وزيره، فسجنه، وصفَّده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر ألا يعطى من القوت إلا القليل من الخبز والملح والماء، وأن تُقَيَّد ألفاظه حتى يطلع عليها. فأقام الوزير أشهراً لم يُسمع له لفظ واحد. فوجَّه إليه الملك قوماً ينظرون في أمره، فقالوا له: يا أيها الوزير، نراك فيما نراك فيه من الشدة والضيق، وأنت كما أنت لم تتغيَّر حالك، فما شأنك؟

---

(١) الأصل في الثلم هو الكسر والقطع وهو هنا بمعنى الإنقاص.

قال: إني استعنتُ على أمري بستة أشياء: الثقة بالله تعالى، وعلمي أن كلَّ مقدَّر واقع، وبالصبر الجميل، ومعرفة أني إن لم أصبر، أكن قد أعنت على نفسي بالجزع، وأني ربما أكون في شر أصعب من هذا، وما بين ساعة وأخرى يأتي الله بالفرج القريب. فلما قالوا مقالته لأنوشروان، عفا عنه، ورَدَّه إلى عمله، وأحسن إليه.

٤٧- الأعرابيّ والحجاج

في وصف العصا

لقي الحجاج أعرابياً، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من البادية. قال: وما بيدك؟ قال: عصا أركِّزها لصلاتي وأُعدّها لعداتي[١]، وأسوق بها دابّتي، وأقوى بها على سفري، وأعتمد بها على مشيي ليتسع بها خطوي، وأبث بها النهر فتؤمنني، وألقي عليها كسائي، فيسترني من الحر، ويقيني من القرّ، وتُدني ما بعد مني. وهي محمل سفرتي، وعلاقة أدواتي، ومشجب ثيابي، وأعتمد بها عند الضراب، وأقرع بها على الأبواب، وأتقي بها عقور الكلاب. تنوب عن الرمح في الطعان، وعن الحراب عند منازلة الأقران. ورثتها عن أبي، وأورثها بعدي ابني، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى كثيرة لا تحصى.

٤٨- الحجاج والشيخ

حسن التخلص

أراد الحجاج أن يقف على أسرار الناس فيه وفي عمّاله. فخرج متنكراً حتى لقي شيخاً، فقال له: ما رأيكم في رؤسائكم؟ قال الشيخ: إنهم ظلمة مستبدون غير أكفاء. قال: مارأيكم في رئيسكم الحجاج؟ قال: إنه دنيء الخصال، بريء من الفضائل. فأسف الحجاج على سؤاله، وتلا قوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٢]. ثم قال للشيخ: أتدري

(١) العداة: مفردها عادٍ، وهو المعتدي الجائر الذي يغتصب الحقوق.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠١ .

من أنا؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج، فقال الشيخ: وأنا زيد عامر يمسني الشيطان كل يوم مرة، فأصرع، فلا أدري ما أقول، ولا يؤاخذني الناس على ما يصدر عني، ويبدو مني. فعفا عنه الحجاج لحسن تخلّصه.

٤٩- الأعرابية وعبد الله بن أبي بكرة

حسن البيان يستوجب الإحسان

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة بين السماطين[١]، وقالت: أصلح الله الأمير، وأمتعَ به. حدرتنا إليك سنة اشتدَّ بلاؤها، وانكشف غطاؤها. أقود صبية صغاراً وآخرين كباراً في بلدة شاسعة، تخفضنا خافضة وترفعنا رافعة. ملمّات من الدهر برين عظمي، وأذهبن لحمي. وتركنني والهاً[٢] أدور بالحضيض[٣]، وقد ضاق بي البلد العريض. فسألت في أحياء العرب: مَن الكامل فضائله، المعطي سائله، الكفي[٤] نائله! فدُللت عليك، أصلحك الله تعالى، وأنا امرأة من هوازن، قد مات الوالد، وغاب الرافد[٥]. وأنت بعد الله غياثي ومنتهى أملي، فافعل بي إحدى ثلاث خصال: إما أن تردّني إلى بلدي، أو تحسن صفدي[٦]، أو تقيم أودي[٧]. فقال: بل أجمعهنّ لك. فلم يزل يجري عليها كما يجري على عياله، حتى ماتت.

٥٠- المأمون والحسن بن رجاء

بالإحسان في البديهة تتفاضل العقول

دخل المأمون في بعض الدواوين. فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم، فقال: من أنت ياغلام؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك، المتقلّب

---

(١) السماطان من الناس: الجانبان والصفان، أي وقفت بين الصفين.
(٢) الواله: التي ذهب عقلها من الحزن.
(٣) الحضيض: المنخفض.
(٤) الكفي: أي الكافي كفاية زائدة.
(٥) الرافد: المعين.
(٦) الصفد: العطاء.
(٧) الأود: العوج من الأرض.

في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، خادمك وابن خادمك، الحسن بن رجاء. فقال المأمون: أحسنت يا غلام، وبالإحسان في البديهة تتفاضل العقول. وأمر برفع مرتبته، وزيادة عطائه.

٥١- الغلام وعمر بن الخطاب

الإحسان في الإجابة من أمارات النجابة

مرّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بغلمان يلعبون، فلمّا رأوه، تفرقوا هائبين. وثبت أحدهم مكانه. فقال له عمر: مالك لم تفارق مكانك، وقد فرّ من كانوا معك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما الطريق ضيِّقة فأُوسعها لك، ولا ذنب لي فأخافه. فَسُرّ من جوابه، وكافأه مكافأة حسنة.

٥٢- الشعبي والحجاج

في الصدق النجاة

خرج الشعبيّ مع ابن الأشعث على الحجاج. فظهر الحجاج على ابن الأشعث. فاستشار الشعبي أصحابه، فأشاروا عليه بالاعتذار. قال الشعبي: فلما دخلت، خالفت مشورتهم، ورأيت والله غير الذي قالوا، فسلّمتُ عليه بالإمرة، ثم قلت: أيد الله الأمير. إن الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحقّ. ولك الله ألا أقول في مقامي هذا إلا الحق: قد جهدنا وحرصنا، فما كنا بالأقوياء الفجرة، ولا الأتقياء البررة. ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا. فإن سطوت فبذنوبنا، وإن عفوت فبحلمك، والحجة لك علينا. فقال الحجاج: أنت، والله، أحبّ إلينا قولاً ممن يدخل علينا، وسيفه يقطر من دمائنا، ويقول: والله مافعلت ولاشهدت. أنت آمِنٌ ياشعبي. فقلت: أيها الأمير اكتحلت، والله، بعدك السهر. واستحلستُ الخوف[1]. وقطعتُ صالح الإخوان، ولم أجد أحداً من الأمير خلفاً. قال: صدقت. وانصرفت.

---

(١) استحلست الخوف: لزمته ولم أفارقه.

٥٣- الذئب والظبي

خَفْ عدوك واحذره

صاد ذئب ظبياً ضئيلاً من الجوع، فرأى أن يشبعه حتى يسمن، ثم يأكله. فجاء إليه، وسلم عليه، وقال: يا أخي، ما شأنك؟ قال: جوع شديد كاد يقتلني. فأظهر الذئب شفقةً زائدة. وبكى لحال الظبي، وقال: لقد تركتُ عداوة مثلك، وحلفت ألا آكل حياً، وأنفت القساوة، ومللت الفتك بالنفوس البريئة. [الرجز]

وَقَدْ عَلِمْتُ وَالَّبيبُ يَعْلَمُ ... بِالطَّبْعِ لاَ يُرْحَمُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ

فاغترّ الظبي بقوله، وانتظر الذئب حتى جاءه بالأكل، فأكل وشبع، وشكر للذئب جميل إحسانه، ولم يزل كذلك حتى سمن وامتلأ، فوثب عليه الذئب وأكله. وتلك عاقبة من يستسلم لأعدائه، ويغترّ بأقوالهم وأفعالهم.

٥٤- الطاووس والبوم

العاقل لا يستشير عدوه وإذا وقع في شدة فكر في سبيل النجاة

وقع طاووس في حبائل صياد، فوجد فيها بوماً، فازداد هماً إذ رأى عدوه فيها، ولكن أظهر الرضا، وتحادث معه كيف ينجوان؟ فقال البوم: الرأي عندي أن نتماوت، فيتركنا الصياد. فتماوتا، وجاء الصياد، وألقى البوم، ونتف ريش الطاووس لنفاسته، فلقي الطاووس شقاء وعناء باتباع رأي عدوه، وندم على سوء فعله. وقال لنفسه: لو أني عشت، ولم أتماوت، لكنت مكرَّماً معزّزاً عند من يأخذني.

ثم طرحه الصياد ومضى، فجاء البوم، وجعل ينقره حتى كاد يهلكه. ثم تركه على أسوأ حال، فجاء ثعلب، وحمله بأنيابه إلى أن ألقاه أمام زوجته وأبنائه، ومضى. فقال الطاووس للزوجة: إني مريض، فإنْ أكلتِني يصبْك مرضي. فذكرت الثعلبة ذلك للثعلب، فقال: هذه حيلة يريد النجاة بها.

فراجعته حتى رضي بتركه إلى أن يبرأ. فعاش الطاووس حتى عوفي، وطال ريشه وطار على شجرة، فقالت له الثعلبة: انزلْ ولك الأمان، فقال لها: «العاقل إذا خلص من شدة لا يوقع نفسه فيها مرة ثانية». ثم طار إلى أهله، وأنبأ بنبئه. فلقي اللوم على اتباع مشورة عدوه، والمدح على احتياله للخروج من كزبته، والتخلّص من مصائبه.

٥٥- الظليم[1] والصياد

لاتترك الموجود طلباً لأمر موهوم

وقع ظليم في شرك. فأخذه الصياد وقاده. فقال له الظليم: لمَ أخذتني؟ فقال: لأني شيخ فقير ذو عيال. فبكى الظليم وضحك. فدهش الصياد وسأله عما فعل.؟ فقال: بكيت لتركي فراخي، وهي تنتظر رجوعي بشغف ولهف. فذكر الصياد أولاده، وهمَّ بترك الظليم، ولكنه صبر حتى يتم كلامه، ثم قال الظليم: وضحكت، لأني تركتُ في بيتك مالاً كثيراً في موضع كذا، ففرح الصياد، وهمَّ بإطلاقه. غير أنه قال للظليم: لو تركتك، تركت شيئاً موجوداً لأمر قد يكون معدوماً، ولو علمتَ الغيب ما وقعت في شركي.

فقال له الظليم: سترى جمالاً تتبعها أبناؤها. وكان الظليم قد رآها من قبل. فلما مضى الصياد ورأى الجمال وأولادها، أطلق الظليم، وذهب مسرعاً إلى داره، وجعل يحفر فيها حتى خربها، فرماه الناس بالجنون، ولم يحصل على شيء، «فالعاقل لايغترّ، ويحافظ على ما معه حتى يجد العوض عنه».

٥٦- السمكات الثلاث والصياد

اليأس شيمة العاجز

كان بغدير ثلاث سمكات: الأولى كَيِّسة، والثانية أَكْيَس، والثالثة عاجزة. وكان الغدير بعيداً عن المارة، ومتَّصلاً بنهر جارٍ، فمر به الصياد، فأحست به

---

(١) الظليم: ذكر النعام.

السمكات، فارتابت أكيسهن، وخرجت من الغدير إلى النهر، وبقيت الكيِّسة والعاجزة، فجاء الصياد، وسدَّ الوصلة التي بين الغدير والنهر، ورمى بشباكه في الغدير، فقالت الكيسة لنفسها: «هذه نتيجة التفريط، فهل من حيلة، وهل تنفع حيلة الخائف؟ وربما تنفع. ولذلك لا أيأس».

ثم تماوتت، وطفت على وجه الماء، وجعلت تتقلَّب ظهراً لبطن، فأخذها الصياد، ووضعها بين الغدير والنهر، فوثبت إلى النهر، ونجت بهذه الحيلة، أما العاجزة، فيئست كل اليأس، ولم تزل في إقبال وإدبار، وارتفاع وانخفاض، حتى صادها، وذلك جزاء اليائسين. فالعاقل لاييأس، بل يستعين على النجاة بالثبات والصبر، كما قال القائل: [البسيط]

لاَ تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

٥٧- القردة والأسد

القوة في الإتحاد

يُروى أن حبشيّاً ذهب بأبقاره إلى نهر لتشرب، فرأى هناك أسداً قد ربض على الشاطئ، فلما بصر به الأسد، تحفَّز للوثوب، فلجأ الرجل إلى شجرة، وخاضت أبقاره الماء، ثم شاهد الرجل قردة يتبعها ولدها، فافترس الأسد ولدها، فحزنت كثيراً، وعادت من حيث أتت. ثم رجعت ومعها جمّ غفير من القردة، وهي أمامهنّ وقد سبقهنّ غبار سد الأفق، وبأيديهنّ العصيّ، فذُهل الرجل ودُهش الأسد، الذي لم يلبث أن رأى نفسه داخل سور من القردة، وهي تتقدَّم إليه بكل ثبات وشجاعة، ثم أوسعته ضرباً ووخزاً حتى مات، ونالت منه ثأرها على قوته وضعفها، ولكنّ القوة في الاتحاد.

٥٨- اليمامة والصياد

الصمت واجب إذا عز الكلام

قيل: إن يمامة كانت آمنة مطمئنّة في عشها بأعلى شجرة مورقة جميلة، فجاء في مكانها صيّاد، وجعل يبحث عن طير يصيده، فلم يجد شيئاً. ولما

همَّ بالرجوع، برزت اليمامة من عشّها، وترنَّمت بجميل صوتها. فتوجَّه إليها الصياد وصادها، فلما وقعت في يده، قالت لنفسها: «سلامتي كانت في صَمْتي، ولو ملكت منطقي، لملكت نفسي»، وقيل: [الطويل]

يَمُوتُ الفَتى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

٥٩- سليمان عليه السلام والهدهد

الظلم مرتعه وخيم

وقف هدهد أمام سليمان عليه السلام خاضعاً ذليلاً، وشكا إليه سوء حاله، وتكدر عيشه من حبة بُرٍّ تناولها، فقال سليمان عليه السلام لمن حوله: قد جنى هذا الهدهد ذنباً عظيماً، وظلم ظلماً كبيراً، لأن هذه الحبة سرقها من بيت نملة، تعبت في الحصول عليها تعباً شديداً، فكافأه الله عز وجل على ظلمه وبَغْيه، وأَكْلِه ما ليس له، بما ترون من المرض وسوء الحال. فأنا لا أسمع له شكوى، ولا أنظر له في دعوى، وذلك جزاء الظالمين الباغين ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

٦٠- الغلام والقط

جزاء سيئة مثلها

دخل غلام غرفته، فتبعه قط. فلما رآه، بادر بإغلاق النوافذ، وجعل يعدو وراء القط، ويضربه بالعصا، وهو يموء ويقفز حتى كسر بعض ما في الغرفة من الأدوات، فاغتاظ الغلام، وحنق على القط، وازداد في الضرب المؤلم والإيذاء من غير شفقة ولارحمة، فتألَّم القط كثيراً، ولم يجد مفراً، فاستجمع قواه. ووثب على الغلام، ففقأ عينه، وجرح وجهه، فأسرع الغلام إلى الباب، وفتحه مستغيثاً، ففرّ القط ونجا، وبقي الغلام مفقوء العين مشوَّه الوجه، طول حياته، وعرف أن الظلم مرتعه وخيم، يوجب لصاحبه البلاء، ويوقعه في الشقاء، وندم على ما فعل، ولات ساعة مندم.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧ .

٦١- السيدة والكلب الصغير

الرفق بالحيوان من الإيمان

خرجت امرأة لقضاء ماتحتاج إليه، فرأت أبناء يسحبون كلباً ضئيلاً، وهو ينبح ويتألم، فأشفقت عليه، واشترته منهم، وحملته إلى بيتها، وسقته وأطعمته، وأحسنت إليه، فأحبها وتعلق بها، ثم حدث أن جاء لص، واختبأ تحت سرير تلك المرأة، فجعل الكلب يروح ويغدو، وينبح تحت السرير على خلاف عادته، فرابها الأمر، وانشغل فؤادها، فنظرت تحت السرير بهدوء واطمئنان، فرأت اللص مختبئاً ساكناً، فأسرعت بدون بطء إلى الباب وأغلقته، واستغاثت بأهلها وخدمها، فجاؤوا، وأوسعوا اللص ضرباً، ثم سيق إلى السجن ليلقى جزاءه، ونجت المرأة من سوء شرّه، لإحسانها إلى الكلب، ورفقها به وشفقتها.

٦٢- الكلب ووفاؤه

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

اعتنى ولد بتربية كلبه، فجاء أعداء الولد، وأخذوه ومعه كلبه إلى إحدى الدور. وشرعوا يقتلون الولد، ودفنوه في فناء الدار. فجعل الكلب يناضل عنه، ويقاتل دونه، حتى خارت قواه. وقتل الولدَ الأعداء، فلما غاب الولد عن أمه، خرجت تبحث عنه، فلم تجده، وقطعت أملها في رجوعه، ولكن الكلب رأى أحد قتلة سيِّده، فتعلق به، واجتمع الناس، ومعهم أم الولد لإنقاذ القاتل من الكلب، حتى أنقذوه بكل جهد ومشقة.

فلما مضى القاتل تبعه الكلب، فارتابت الأم، وأبلغت الأمر للرئيس الحاكم، فأرسل معها بعض أعوانه للتحقيق. فساروا ومعهم الكلب، وفتحوا الدار، فتبعهم الكلب إلى الجهة التي دفن فيها سيده، وشرع ينبش بيديه ورجليه باذلاً كل ما في وسعه، فعرف الحاضرون غرضه، فحفروا، وأخرجوا الجثة، وحاكموا القاتلين، وأخذ الكلب بثأر سيده بعد موته وفاءً له جزاء إحسانه إليه.

٦٣- الأسد والثعلب وابن التاجر

كُنْ عالي الهمة

أرسل أحد التجّار ولده في تجارة، فرأى في طريقه ثعلباً طريحاً يتلوَّى من الجوع، فقال: من أين يتغذى هذا المسكين؟ وإذا بأسد أقبل يحمل فريسته.

فانزوى الولد وهو يرتعد. ثم راقب الأسد حتى أكل فريسته، وترك منها بقيَّة لا خير فيها، ومضى. فقام الثعلب وأكل من فضالة الأسد، فأراد الولد أن يقتدي بالثعلب. ورجع إلى أبيه، وأخبره بما رأى، فقال له والده: إنك مخطئ يا بني، وإني أرجو أن تكون أسداً تأكل الثعالب ما أبقيتَ، ويسوءني أن تكون ثعلباً تأكل من بقايا الأسود وتشرب من سؤرها[1]. وردَّه عن خطئه، وقال: [الطويل]

وَمَا الْمَرْءُ إِلاّ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ فكُنْ طَالِباً فِي النَّاسِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ

٦٤- الثعبان والأسد

تُلجئ الضرورة الحرّ إلى مصادقة عدوّ بلا مفرّ

تآخى ثعبانان، واتفقا على أن يضربا في الأرض ابتغاء الرزق، فرأيا أسداً قد أقبل عليهما، فقال أحدهما لصاحبه: لابدّ لنا من حيلة تُنجينا من هذا العدو الآتي. فلما جاءهما الأسد، تقدَّما بين يديه خاضعين، وقال أحدهما: يا أبا الحارث، إنّا قد ورثنا أغناماً عن أبينا، واختلفنا كيف نقسمها، فجئناك لتقسم بيننا بالعدل، كما هي شيمتك.

فقال الأسد: «عادلاً حكَّمتما»، فليذهب أحدكما لإحضارها. فذهب أحدهما مسرعاً، وانزوى في كرم عنب، ولم يعد. فقال الآخر: ياسيدي، قد غاب هذا الخائن ليختصّ بالأغنام، فمرْني أن أحضره بها، فأمره. وذهب، وعلا حائطاً ولم يعد. فذهب الأسد في طلبهما، فرأى الثعبان الثاني يفوق الحائط، فأمره بالنزول ليحكم بينه وبين صاحبه. فقال الثعبان: قد اصطلحنا،

---

(١) السؤر: بقية الشيء.

واذهبْ حيث شئت. فغضب الأسد، فقال الثعبان: عجباً، ما رأينا قاضياً يغضب من اصطلاح الخصمين سواك. وقد نَجَوَا منه بحسن حيلتهما، وفضْل تعاونهما.

٦٥- الثعلب والديك

احذرْ عدوك فقوْله تخرير وتمويه

يُروى أن ثعلباً رأى ديكاً، فأقبل عليه طلق المحيّا، بادي البشْر، فلما رآه الديك، علا شجرةً حتى انتهى إلى أعلى غصن فيها، فناداه الثعلب، وقال له: ما بالُك قد خفت مني؟ فقال له الديك أنت عدوّي قديماً وحديثاً، فمن الحمق والجهل أن أنزل إليك، فتأكلَني ظلماً وبغياً. فقال الثعلب: أما سمعت أن منادي السلطان نادى بالأمان في جميع البلدان فاجتمع القط بالفأر، والأسد بالإنسان، والذئب بالغزلان؟ انزلْ، ولا تخفْ، إنّي لك من الناصحين.

فقال الديك لنفسه: إن هذا الثعلب لا ينفكُّ يحتال عليّ ليوقعني في حبائله، لا بد لي من حيلة. ثم قال للثعلب: يا أبا الحصين، إنّي أرى شبحاً يعدو على أربع، كأنها السهام فارقت قسيَّها، وهو يقصدك. فقال الثعلب: ذلك عدوّي الذئب. وفرَّ هارباً. فناداه الديك، وقال له: أقبلْ ولا تخفْ، فقد قلتَ: إن منادي السلطان نادى بالأمان. فقال وهو يعدو: لعلَّ هذا الخبيث لم يسمعِ النداء. ونجا الديك بحسن حيلته، وكمال ذكائه. ولم يصدق قول عدوه.

٦٦- الضفدعة والبقرة

الجاهل عدو نفسه

رأت ضفدعةٌ بقرةً عظيمة الجثة كثيرة النشاط. فحسدتها على ما أعطاها الله. ورغبت أن تكون مثلها. فتمددت وبسطت أعضاءها، وجعلت تشرب كي يعظم جسمها، وتكون كالبقرة. ثم عرضت نفسها على أخواتها، وطلبت منهنّ أن يقارنَّ بينها وبين البقرة. فقلنَ لها: هيهات أن تصلي إلى ما وصلتْ

إليه، وعَبَثاً تحاولين. فلم تُصغِ للقول. ورجعت إلى شرب الماء، حتى انتفخت، وماتت لوقتها، ضحيةَ ضلالها وفريسة جهلها، قال الشاعر: [السريع]

لاَ يَبْلُغُ الأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَايَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

٦٧- الكلب الحر والكلب المأسور

الحرية مع الفقر خير من الإستعباد مع الغنى

مرّ كلب ضئيل قد أنهكه الجوع، وأضعفه الاحتياج، بكلب ممتلئ قد عظم جسمه، وكثر خيره. فتحادثا. فقال الكلب السمين صاحب العيش الرغيد: مالك قد أضناك الجوع، وكاد يودي بحياتك، وما عليك لو جئت معي، وعشت عيشتي، ولقيت نعيمي؟ فقال الكلب الضعيف: ذلك ما أبغيه، ولكن ما هذا الذي أراه بجيدك؟ قال: هذا أثر الحديد، لأن أصحابي يطلقونني ليلاً، ويضعون الأغلال في رقبتي نهاراً . فقال الضعيف: دعني أعِش حراً، فلا لذَّةَ لي في نعيم الحياة ورغد العيش، وأنا أسمع رنين الحديد في رقبتي. [الطويل]

إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ فَعِنْدِي لِأُخْرى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ

٦٨- الحصان والذئب

الشيئ يرجع سوء عمله عليه

صادف ذئبٌ حصاناً قد امتلأ شحماً ولحماً، ورونقاً وشباباً، في فصل الربيع . فعقد الآمال على أن يأكل من هذا اللحم الطري الجميل ظلماً وبَغْياً. فجاء إلى الحصان، وألقى عليه السلام، وقال له: يا كريم الجياد، إني حكيم ماهر، عارف بأسرار الطب، أعالج وأصرف الدواء مجّاناً. فقال له الحصان: بي وجع في رجلي من أثر القيد. فقال الذئب: أرِني يا أخي، لا بأس عليك، كأن هذا الوجع بكبدي، ثم أمسك رِجْلَ الحصان، وجعل يفكّر كيف يفترسه. فلما أيقن الحصان بالشر، ضرب الذئب برجليه ضربةً جدعت

أنفه، وفرقت بين فكّيه، وتركته صريع بَغْيه، قتيل مَكْره وخداعه. لأن من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[1].

٦٩- كِسرى والكهل

اعمل الخير لأبنائك كما عملته لك آباؤك

مرّ كِسْرى على رجل كهل، يغرس شجراً يُثمر بعد زمن طويل، فقال له: يا هذا، إنك قد بلغت من العمر نهايته، فكيف تغرس شجراً، لعلك لاتدرك ثمره؟ فقال له: يا بني، قد زرع لنا آباؤنا فأكلنا، ونحن نزرع لأبنائنا ليأكلوا من بعدنا. فَسُرَّ الملك من جوابه، وأمر له بصلة. فقال الشيخ: أيها الملك الجليل، قد أثمرتْ هذه الشجرة ثمراً طيباً بما وصلتَني به، وانتفعتُ به في حياتي. فوصله ثانية، فقال: إنها شجرة مباركة أثمرت مرتين في وقت واحد. فسُر كسرى، وقال: هلموا بنا، فقد ألقى علينا هذا الكهل درساً نافعاً، فالعاقل من يعمل العمل المفيد لأنه في نفسه مفيد، ولو لم ينتظر منه فائدة لنفسه في حياته الدنيا، فما عند الله خير وأبقى. وربما استفاد منه كما استفاد ذلك الكهل العاقل العامل المخلص.

٧٠- مروان بن محمد وعبد الحميد الكاتب

أخوك حقيقة من قدّمك وآثرك على نفسه

لما أيقن مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، بانقضاء ملكه، وانتهاء حكمه لظهور آل العباس عليه، ومناهضتهم[2] إياه، قال لعبد الحميد، وكان إمام الكاتبين: «لقد احتجتَ إلى أن تصير مع عدوي، وتُظهرَ الغدر، فإنّ إعجابهم بأدبك، وحاجتهم إلى كتابك يدعوان إلى حسن الظنّ بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلاّ لم تعجز عن حرماني من بعد مماتي».

فقال عبد الحميد: «إن الذي أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي، وما

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣ .
(٢) المناهضة: المحاربة والمقاتلة.

عندي غير الصبر معك، حتى يفتح الله عليك، أو أقتل معك». ثم لزمه ولم يفارقه. وهكذا يكون الوفاء، وتكون الأصدقاء. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

٧١- معاوية وعبد الله بن الزبير

يستفيد العاقل باللطف ما لا يستفيده الجاهل بالعنف

كان لمعاوية بن أبي سفيان عبيد يعملون في أرض له تجاور أرضاً لعبد الله ابن الزبير. فدخلوا ذات يوم أرض عبد الله، فكتب إلى معاوية:

أما بعد: «فيا معاوية، إن عبيدك دخلوا أرضي، فانْهِهِمْ عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأن». فأخبر معاوية ابنه يزيد، فقال: ابعثْ إليه بجيش، أوَّلُه عنده وآخره عندك، يأتوك برأسه. فقال معاوية: غير هذا أوفق. وكتب يمدح عبد الله، ويعظِّمه، ويخبره أنه ضمَّ الأرض بعبيدها إليه. فكتب عبد الله: «قد وقفتُ على كتاب أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، ولا أعدمه الرأي الذي أحلّه من قريش هذا المحل، والسلام». فأخذ معاوية الكتاب، ودفعه إلى يزيد، فتهلَّل وجهه. فقال له: «يابني، من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب. فإذا ابتليت بشيء من هذا، فداوه بهذا الدواء».

٧٢- الهادي والخارجيّ

العاقل يعتمد على حيلته، والجاهل يُعوّل على قوته

ركب الهادي حماره، وسار في بستان له، ولا سلاح معه، ومعه بعض حاشيته. فجيْء إليه بخارجيّ ذي بأس وكَيْد، بين اثنين قد أمسكا بيديه. فلمّا اقتربا من الهادي أفلت منهما، واختطف سيف أحدهما، وقصد الهادي، ففرَّ الحاضرون. وثبت الهادي مكانه حتى دنا منه الخارجي، وهمَّ أن يضربه بالسيف، فأشار الهادي وراء الخارجي، وقال: ياغلام، اضرب عنقه، ولم يكن هناك غلام. فنظر الخارجي خلفه، فنزل الهادي مسرعاً، وقبض على عنقه، وانتزع السيف منه، وقتله به،ثم ركب حماره. فجعل الفارون يرجعون

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩ . والخصاصة: الفقر والحاجة.

وقد ملئوا رعباً وخوفاً، فلم يعاتبهم. ثم التزم السيف وركوب الخيل، حتى قضى نحبه من الدنيا، وفارقها.

٧٣- الرجل وابن عمه

أَحِبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك

ذهب رجل من جند اليرموك[١] يبحث عن ابن عمٍّ له بين القتلى والجرحى، ومعه قدح مملوء ماءً، فَعَثَر به، فوجده في غاية ما يكون من التعب، فقال: هل لك أن تشرب؟ فلم يستطع أن يكلِّمه، فأشار إليه أن نعم، ولكنه سمع رجلاً يئنّ بجواره، فأشار إلى الرجل أن يسقيه أوَّلاً، فذهب إليه، وقال له: هل لك أن تشرب؟ قال: نعم، ولكنه سمع رجلاً يتأوَّه، فقال للرجل: أسرعْ إليه، وأْتني بما يبقى، فذهب إليه، فرآه قد مات، فعاد إلى الثاني، فإذا هو ميت، فذهب إلى ابن عمه، فوجده قد لحق بربه. فتلك هي المحبة، وهذه هي الصداقة، وبمثل هذه الخلال ترقى الأمم، وتتقدَّم الدول.

٧٤- النساء والجند

الحاجة تفتق الحيلة، أو الحاجة أم الإختراع

خرج جيش المسلمين لقتال الروم الذين نقضوا العهود، ولم يعبؤوا بالمواثيق. فلمّا التقى الجمعان، انحازت نساء المسلمين إلى جانب، فرأين العدو غالباً، فقالت إحداهنّ: إن رجالنا في نحر العدو، ونحن خلوف، وليس عندنا من يمنعنا. وقالت أخرى: إن الهزيمة بادية على رجالنا، فلو أننا سرنا إليهم كمدد، لظنّ المشركون ذلك وانكسروا، وهي مكيدة. فوافقنها على رأيها، فعقدت لواء من خمارها، واتخذت النساء رايات من خمرهنّ، ومضينَ، وهي أمامهنّ تقول: [الرجز]

يَا نَاصِرَ الإِسْلامِ صَفّاً بَعْدَ صَفْ إِنْ تُهْزَمُوا أَوْ تُدْبِرُوا عَنَّا نَخَفْ
أَوْ يَغْلِبُوكُمْ يَغْمُرُوا فِينَا الْقَلَفْ[٢]

---

(١) اليرموك واد بالشام وقعت فيه حرب بين المسلمين والروم في خلافة أبي بكر.
(٢) القلف: نهايات حدود السيوف.

وهن يرددن هذا الصوت كأنهنّ رجال، فلما سمع العدو ورأى، قال: هذا عدد ومدد أتى المسلمين، فانهزم، وانتصر المسلمون بهذه الحيلة: [الكامل]

الـرَّأْيُ قَـبْـلَ شَـجَـاعَـةِ الـشُّـجْـعَـانِ هُـوَ أَوَّلٌ وَهِـيَ الـمَـحَـلُّ الـثَّـانِـي

٧٥- المعتصم والغلام

فَلْيَسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تَسْعِدِ الحَالُ

ذهب المعتصم ليعود عاملاً من عمّاله، وكان لهذا العامل ولد ذكيّ الفؤاد، سريع الخاطر، حاضر الجواب. فلمّا رآه المعتصم، قال له: «داري أحسن أم دار أبيك»؟ فقال الغلام: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن. فسُرَّ منه، ثم أراه خاتمه الذي بيده، وقال له: «هل رأيت أحسن من هذا الخاتم»؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، اليد التي هو فيها. فسرّ المعتصم لذكاء الغلام، وسرعة خاطره، وانتزع الخاتم من يده، وكافأه به، وأنشد قائلاً: [الكامل]

نِـعَـمُ الإلـهِ عـلـى الـعـبـادِ كَـثـيـرةٌ وَأَجَـلُّـهُـنَّ نـجـابَـةُ الأَوْلادِ

٧٦- الإسكاف والأعرابيّ

رجع بخفي حنين

كان حُنين إسكافاً، فأراد أعرابيّ شراء خفَّين منه. فاختلفا، وغضب حنين، وأضمر الشرَّ للأعرابي، فلما ارتحل الأعرابي، ودخل الصحراء، ذهب حنين مسرعاً مختفياً، ووضع أحد خفَّيه في طريق الأعرابي، ووضع الآخر بعيداً عن الأول، ثم كمن. فلمّا مرّ الأعرابيّ بالأول، قال: ما أشبه هذا بخفّ حنين، ولو كان معه الآخر لأخذتهما. ولما انتهى إلى الآخر، نزل عن راحلته وأخذه، وترك الراحلة، وعاد ليأتي بالأول، فخرج حنين من مكمنه، واستاق الراحلة بما عليها. فرجع الأعرابي بالخفَّين، ولم يجد الراحلة. فذهب إلى قومِه، فقالوا له: بماذا رجعت إلينا؟ فقال: «رجعت

بخفي حنين»، فذهب مثلاً يضرب عند الرجوع بالحقير، وترك العظيم الخطير.

٧٧- عمرو بن العاص وأمير غزّة

الحازم مَن إذا وقع في مكروه احتال للتخلص منه

دخل عمرو بن العاص غزَّة فاتحاً، ومعه أصحابه. فبعث إليه أميرها أن أوفدْ عليَّ رَجُلاً من أصحابك، لأحدِّثه بما أرى. فذهب عمرو بنفسه وحادثه، فعجب منه وقال: هل في أصحاب عمرو مثلك؟ فقال: إني هين إذ بعثوا بي إليك، فأمر له بجائزة، وبعث إلى الحاجب سراً أن اضرب عنقه. فلما مضى عمرو، قابله صديق له نصرانيّ، وقال له: يا عمرو، إنك قد أحسنتَ الدخول، فأحسن الخروج. ففطن عمرو، ورجع إلى الأمير، فقال له: ما ردك؟ قال: نظرت فيما أعطيتني، فوجدته لا يسع بني عمي، فرأيت أن آتيك بعشرة منهم، ليكون معروفك أوسع، وفضلك أعمّ. فطمع الأمير في قتله وقتل عشرة من أصحابه، وقال له: عَجِّلْ بهم، وبعث إلى الحاجب: لا تقتل عَمْراً. فخرج عمرو، وهو يقول: لا عدتُ لمثلها، ونجا بحسن حيلته.

٧٨- كسرى ومؤدّبه

حسن الإرشاد سر النجاح

كان لكسرى مؤدّب نال على يديه التقدّم والرقيّ، فضرب كسرى ذات يوم من غير ذنب، ليذوق ألم الظلم، فلا يظلم وهو ملك. فتألم كسرى، وبحث عن ذنبٍ فَعَلَهُ، فلمْ يجد. فلما تولَّى المُلْكَ، أمر بإحضار مؤدِّبه، فجاء، فقال له كسرى: في يوم كذا ضربتني ولاذنب لي، فقال: أيها الملك العادل، رأيت أنك ستكون ملكاً ذا قول نافذ، وحكم مسموع، فأردت أن أذيقك ألم الظلم، وأنت صغير، حتى لا تلجأ إليه وأنت كبير، فتعيش آمناً مطمئناً. فشكر له عمله، ورفع منزلته.

٧٩- عمر بن عبد العزيز والغلام

المرء بأصغريه، قلبه ولسانه

دخل على عمر بن عبد العزيز في مبدأ ولايته وفود المهنئين، فتقدم وفد الحجاز بين يديه، فقام من بينهم غلام لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وأراد أن يتكلم عن قومه، فقال له عمر: اجلس أنت، وليقمْ من هو أسنّ منك، فقال الغلام: أَيَّدك الله، يا أمير المؤمنين، المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسنّ، لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا. فسُرَّ عمر من حسن جوابه، وفصاحة لسانه، وأكرمه، وسمع منه شكاة فئته، وقضى حوائجهم: [الرجز]

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُو كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَا

٨٠- المأمون ومؤدِّبه

من علّمني حرفاً صرت له عبداً

يُروى أن مؤدِّب المأمون حضر ذات يوم، وانتظر خروج المأمون، حتى سئم الانتظار، فلما حضر المأمون، ضربه مؤدِّبه، فبكى، فإذا بوزير من وزراء أبيه استأذن عليه، فاستوى المأمون جالساً، ومسح عينيه، وأذن له، فلما دخل، قابله المأمون بالبِشْر والإيناس، ولم يظهر له أيّ كدر حتى انصرف، فلما ذهب الوزير، قال المؤدِّب للمأمون: كنت أظنُّ أن تذكر له ما كان بيني وبينك. فقال المأمون: إني لا أحبُّ أنْ أُطلع أحداً على احتياجي إلى الأدب، ووالله ما يطمع مني والدي في مثل هذا، لأن من علَّمني حرفاً صرت له عبداً. فسُرَّ منه مؤدِّبه، وأحسنَ معاملته.

٨١- الرشيد والخارجي

قوة الحجة قد تكون من أسباب النجاة

ظفر الرشيد برجل من الخارجين عليه، فقال له: ما تريد أن أصنع بك؟

قال: الذي تريد أن يصنعه بك الإله إذا وقفت بين يديه، ولا أجد أذلَّ مني بين يديك. فأطرق الرشيد، ثم قال: اذهبْ حيث شئت، فأغراه جلساؤه به، وحذّروه منه. فأمر بردِّه، فلما حضر قال: يا إمام الأئمة، لا تُطِعْهم فيَّ، فلو أطاع الله فيك خلقه، ما استخلفك عليهم. فعجب من قوله، وكمال فطنته، وخلّى سبيله لقوّة حجّته، وتمام ذكائه، فخرج آمناً مطمئناً.

٨٢- خالد بن برمك وقحطبة

الإستعداد للحرب سلم

مما ينبغي أن يتصف به صاحب الملك أن يكون بأعلى مكانة من اليقظة، والاستدلال بقليل القول على كثيره، كما روي عن خالد بن برمك، أنه كان مع قحطبة في معسكره جالسين في خيمة، إذ نظر خالد إلى سرب من الظباء كاد يخالط العسكر. فأشار على قحطبة بالركوب، فسأله عن السبب، فقال: الأمر أعجل من أن أبيّن سببه. فركبَ وأركَبَ العسكر، فلم يستتموا الركوب إلا والعدو قد دهمهم، وقد استعدوا له بغير بطء، فكانت النصرة لهم على العدو. فلما انقضى الحرب، سأل قحطبة خالداً: من أين أدركت ذلك؟ فقال: رأيت الظباء وقد خالطت العسكر، فعرفت أنها لم تفعل ذلك مع نفورها من الإنس إلا لأمر عظيم قد دهمها من ورائها. فهكذا تكون اليقظة، ويكون الانتباه، والحذر أمان من الخطر.

٨٣- الملك ووزيره

كتمان السر من خلق الحر

يُروى أن ملكاً من ملوك العجم، استشار وزيريه معاً في مسائل سرِّيَّة. فقال أحدهما: لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً، فإنه أَصْوَن للسر، وأحزم للرأي، وأجدر بالسلامة، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض. فإنَّ إفشاء السر إلى رجل واحد، أوثق من إفشائه إلى اثنين، وإفشائه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جملة، لأن الواحد رهن بما أفشي إليه، والثاني مطلق عليه ذلك الرهن، والثالث زائد. وإذا كان السر عند واحد، كان أحرى ألا يظهره رغبة

أو رهبة. وإن كان عند اثنين كان على شبهة، واتسعت على الرجلين المعاريض[١]، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئاً بجناية مجرم. وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجة معه.

٨٤- المرأة وهارون الرشيد

اللبيب تكفيه الإشارة

دخلت امرأة على هارون الرشيد، وهو بين فئة من أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين، أقَرَّ الله عينك، وفرَّحَكَ بما أعطاك، لقد حكمت فقسطت. فقال: من تكونين؟ فقالت: من آل برمك ممَّنْ قتلتَ رجالهم، وأخذت أموالهم. فقال: أمّا الرجال، فقد مضى فيهم قدر الله، وأما المال فمردود إليك. ثم توجَّه إلى أصحابه، وقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ فقالوا: ما نراها قالتْ إلا خيراً. قال: ما فهمتُم غرضها، أما قولها: أقرَّ الله عينك، تريد أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت عميت، وأما قولها: وفَرَّحَكَ بما أعطاك، تشير به إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[٢]، وأما قولها: حكمت فقسطت، تشير به إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[٣]. فسرّ الحاضرون من عبقرية الرشيد، وسرعة خاطره.

٨٥- كافور الإخشيدي وصاحبه

المرء حيث يجعل نفسه

كان كافور الإخشيدي وصاحبه عبدين أسودين. فجيء بهما إلى قطائع ابن طولون، حاضرة الديار المصرية وقتئذ، ليُباعا في أسواقها، فتمنَّى صاحبه أن يُباع لطبّاخ حتى يملأ بطنه بما شاء، وتمنّى كافور أن يملك هذه المدينة ليحكم وينهى ويأمر، وقد بلغ كلٌّ مناه، فبيع صاحب كافور لطبّاخ، وبيع كافور لأحد قوّاد المصريين، فأظهر كفاءة واقتداراً.

---

(١) المعاريض من الكلام: ما يقال فراراً من الحقيقة، ويظن السامع أنه حقيقة.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٤، وبغتة فجأة.
(٣) سورة الجن، الآية: ١٥ . القاسطون: الحائدون عن جادة الصواب والجائرون.

ولما مات مولاه قام مقامه، واشتهر بذكائه وكمال فطنته حتى صار رأس القوّاد، صاحب الكلمة عند الولاة، وما زال يجد ويجتهد حتى صار ملك مصر والشام والحرمين. ومرّ يوماً بصاحبه فرآه عند الطبّاخ بحالة سيئة، فقال لمن معه: «لقد قعدت بهذا همّتُه، فكان كما ترون، وطارت بي همتي، فكنت كما ترون، ولو جمعتني وإياه همة واحدة، لجمعنا عمل واحد». ولله در عمرو بن العاص حيث يقول: «المرء حيث يجعل نفسه، فإن رفعها ارتفعت، وإن وضعها اتَّضعَتْ».

٨٦- المهلَّب بن أبي صفرة وآخر

علم بلا عمل، كشجرة بلا ثمر

قال رجل للمهلَّب بن أبي صفرة، يا أبا المهلب، بمَ أدركت ما أدركت؟ فقال المهلب: إنما أدركت ما أدركت بالعلم. قال الرجل: ولكن غيرك قد علم أكثر مما علمت، ولم يدرك ما أدركت! فقال المهلب: ذلك عِلْمٌ حُمِل، وهذا علم استُعْمِل، وقد قالت الحكماء: العلم قائد، والعقل سائق، والنفس ذود. فإن كان قائد بلا سائق هلَكَتْ، وإن كان سائق بلا قائد أخذتْ يميناً وشمالاً، وإذا اجتمعا أنابت طوعاً أو كرهاً.

٨٧- أبو العلاء المعري وغلام عربي

ليس في الإمكان أبدع مما كان

لقي غلام من العرب أبا العلاء المعرّي الشاعر المشهور، فقال له: من أنت يا شيخ؟ قال: أنا أبو العلاء المعري شاعركم المعروف، فقال الغلام: أهلاً بالشاعر الفحل، أنت القائل في شعرك [الطويل]

وَإِنّي وإنْ كنتُ الأخيرَ زَمانُهُ ... لَآتٍ بِما لم تَسْتَطِعْهُ الأَوائلُ

قال أبو العلاء: أنا الذي قلتُ هذا، ولماذا؟ فقال الغلام: قولٌ طيّب، وثقة بالنفس، وإعلام بالكفاءة والقدرة، ولكن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً واحداً؟ فسكت أبو العلاء، وقال: واللهِ ما عهدتُ لي سكوتاً كهذا السكوت.

٨٨- الجاحظ وسعيد بن عبد العزيز وغيرهما

لا يُحمَدُ الصمتُ في كل المواطن

قال أبو تمام: تناقشنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز، في فضيلة الكلام، وفضيلة الصمت، وأيّهما أرفع شأناً، وأعزّ مكاناً، فقال واحد في المجلس: إن الصمت زين الرجل، وفضيلة من الفضائل المطلوبة له، والمكمِّلة لأدبه، وكثرة الكلام دليل الطيش وعلامة على ضعف الرأي، فأجاب سعيد بن عبد العزيز: يا هذا، إنك تمدح السكوت بالكلام، ولا يُمدَح الكلام بالسكوت، ومن أنبأ عن شيء فهو أكبر منه.

فقام الجاحظ وقال: كيف تقولون إن الصمت أنفع من الكلام؟ ونفع الصمت لا يتجاوز صاحبه، ونفع الكلام يعم ويخصّ، والرواة لم تروِ سكوت الصامتين، كما روت كلام الناظمين والناثرين، فبالكلام أرسل الله تعالى أنبياءه، وليس بالصمت أرسلهم، ومواضع الصمت المحمودة قليلة، ومواطن الكلام المحمودة كثيرة، وبطول الصمت يفسُد البيان، ومحادثة الرجال تلقيح لألبابها.

٨٩- عبد الملك بن مروان وأعرابي

أحمدُ اللهَ تعالى على ما أنتَ فيه

جاء أعرابي إلى عبد الملك بن مروان. فقال له عبد الملك: تكلم بحاجتك يا أعرابي. قال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، جلال الدرجة وهيبة الخلافة يمنعاني من ذلك. فقال عبد الملك: على رِسْلِكَ يا أعرابي، فإنّا لا نحب مدح المشاهدة، ولا تزكية اللقاء. قال الأعرابي: أنا لست أمدحك يا أمير المؤمنين ولا أزكّيك، ولكنني أحمد الله تعالى على النعمة فيك.

٩٠- أبو نواس وهارون الرشيد

الشعراء يقولون ما لا يفعلون

غضب يوماً هارون الرشيد على أبي نواس، فطلب إحضاره إلى ديوانه،

وأمر بقتله. فلما حضر ورأى الديوان مكتظّاً بالعلماء والأعيان، وسمع بحكْم الرشيد عليه بالقتل، قال: يا أمير المؤمنين، شهوةٌ لقتلي؟ قال: لا، بل باستحقاق. فقال أبو نواس: إن الله يحاسب، ثم يعفو أو يعاقب، فيمَ استحققت القتل؟ قال: بقولك: [الطويل]

ألا فاسْقِني خَمْراً وقُلْ لي هيَ الخَمْرُ ولا تَسْقِني سِرّاً إذا أَمْكَنَ الجَهْرُ

قال: يا أمير المؤمنين، أعلِمْتَ أنه سقاني؟ قال: أظنّ ذلك. قال: أتقتُلُني بالظن، وبعض الظن إثم؟ فقال: قلتَ أيضاً ما تستحق به القتل، وهو قولك في التعطيل: [الكامل]

ما جاءنا أحدٌ يُخَبِّرُ أنّهُ في جَنَّةٍ مُذْ ماتَ أو في نارِ

قال: أفجاءنا أحد؟ قال: لا. قال: أفتقتُلُني على الصدق؟! قال: أولستَ القائل: [البسيط]

يا أحمدُ المُرْتَجى في كلِّ نائبةٍ قُمْ سَيِّدي نَعْصِ جَبَّارَ السّمواتِ

قال: يا أمير المؤمنين، أوَ صارَ القول فعلاً؟ قال: لا أعلم. قال: أتقتلني على ما لا تعلم؟ قال: دعْ هذا كله، فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بما يوجب القتل، وذلك كالزنى والفجور.

فقال أبو نواس: قد علم الله هذا من قبل عِلْم أمير المؤمنين، وأخبر أنّي أقول ما لا أفعل. قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

فقال الرشيد: دعوه يذهب وشأنه، قطع الله لسانه.

٩١- مطيع بن إياس ومعن بن زائدة

الدراهم كالمراهم

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي منها: [المنسرح]

أهلاً وسَهْلاً سَيِّدَ العَرَبِ ذَا الغُرَرِ الواضِحاتِ والنُّجُبِ

فتَى النِّزارِ وكَهْلِها وأَخِي الجُودِ حَوى غايَتَهُ مِنْ كَثَبِ

(١) سورة االشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٦ .

فلما فرغَ، قال له معن: إن شئتَ مدحْناك كما مدحتَنا، وإن شئت أثَبْناك. فاستحى مطيع من اختيار الثواب على المديح، وكره اختيار المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشد يقول: [الوافر]

ثَـنـاءٌ مِـنْ أمـيـرٍ خـيـرُ كَـسْـبٍ لِـصـاحـبِ مَـغْـنَـمٍ وأخـي ثَـراءِ
ولـكِـنّ الـزَّمـانَ بَـرَى عـظـامـي ومـا مِـثْـلُ الـدَّراهـمِ مِـنْ دواءِ

فضحك معن وقال له: لقد صدقت، فلعمري ما مثل الدراهم من دواء، وأنشد: [الكامل]

إن الـدَّراهـمِ فـي الـمـواطِـنِ كُـلِّـهـا تَـكـسـو الـرِّجـالَ مـهـابـةً وكَـمـالا
فَـهِـيَ الـلـسـانُ لِـمَـنْ أرادَ فَـصـاحَـةً وهِـيَ الـسِّـلاح لِـمَـنْ أرادَ قِـتـالا

ثم أمر له بجائزة حسنة مكافأةً له.

٩٢- الحسن بن سهل وأعرابي

لا خير في السرَف، كما لا سرَف في الخير

كان الحسن بن سهل جَمَّ السخاء، كثير العطاء، فكتب إليه أعرابي يقول: ما هكذا والله، يا حَسَنُ، سبيلُ الإحسان، أما علمتَ أنْ لا خيرَ في السرَف؟ فأجابه الحسن بن سهل قائلاً: لقد علمت أنا أنْ لا خير في السرَف، فهل علمتَ أنت أيضاً أنْ لا سرَف في الخير؟

٩٣- الثقيل والظريف

زُرْ غِبّاً تزدَدْ حبّاً

تردّد ثقيل على ظريف، وأطال ترداده عليه حتى سئم منه، فقال له الثقيل: من تراه أشعر الشعراء؟ فأجابه الظريف: هو ابن الوردي بقوله: [الرمل]

غِـبْ وزُر غِـبّـاً تُـزَدْ حـبّـاً فـمَـنْ أكْـثَـرَ الـتَّـردادَ أضـنـاه الـمـلَـلْ

فقال الثقيل: أخطأتَ، فإن النجاري أشعر منه بقوله: [الوافر]

إذا حَـقَّـقْـتَ مِـنْ خِـلٍّ وِداداً فَـزُرْه وَلا تَـخـفْ مـنـه مَـلالا

وكُنْ كالشمسِ تَطْلُعُ كلَّ يومٍ ولا تَكُ في زيارتِهِ هلالا

فأجاب الظريف: إن الحريري أشعر منه بقوله: [الخفيف]

ولا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ في كلِّ شَهْرٍ غَيْرَ يومٍ ولا تَزِدْه عليهِ

وإن لم تصدقني، فقد وهبتك الدار بما فيها، وخرج وهو يقول: [الوافر]

إذا حَلَّ الثَّقيلُ بأرضِ قومٍ فَمَا للسّاكنينَ سِوى الرَّحيلِ

فخجل الثقيل، وذهب في سبيله.

٩٤- الشاعر والمأمون

الشعر بالشعر حرام

أتى شاعر المأمونَ، فقال: [السريع]

حَيّاكَ ربُّ الناسِ حيّاكا إذْ بجَمالِ الوَجْهِ رَقّاكا

بغدادُ من نورِكَ قد أشْرَقَتْ وَأوْرَق العُودُ بجَدْواكا

فأطرق المأمون، وقال: [السريع]

حيّاكَ رَبُّ الناسِ حَيّاكا إنّ الَّذي أَمَّلْتَ أَخْطاكا

أَتَيْتَ شَخْصاً قدْ خلا كِيسُهُ ولو حوى شَيئاً لأعطاكا

فقال الشاعر: يا أمير المؤمنين، الشعر بالشعر حرام، فاجعلْ بينهما شيئاً يُستطاب. فضحك المأمون، وأمر له بجائزة جزيلة.

٩٥- أعرابية وأخرى

الهوى خطرات محدثات

عاتبت أعرابية من المدينة أعرابية مثلها على هوى لها، فقالت لها: أما علمت يا أختاه أنه قيل في الحكمة الغابرة والأمثال السائرة: «لا تلومنَّ من أساء بك الظن، إذا جعلت نفسك هدفاً للتهمة، ومن لم يكن عوناً على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عقدة الرأي، ومَنْ أقدم على هوى يعلم ما فيه من سوء المغبة، سلّط على نفسه لسان العذل وضيَّع الحزم؟».

فأجابت الأعرابية المعذولة: أوَما علمتِ أنتِ أيضاً أن الهوى ليس أمره إلى الرأي فيملكَه، ولا إلى العقل فيدبرَه. وهو أغلب قدرةً، وأمنع جانباً من أن ينفذ فيه رأي الحازم. وهلا سمعتِ قول الشاعر: [الخفيف]

ليسَ خَطْبُ الهوى بِخَطْبٍ يسيرِ ... لا يُنْبِيْكَ عنهُ مِثْلُ خبيرِ

ليسَ أمرُ الهوى يُدَبَّرُ بالرّأ ... يِ ولا بالقياسِ والتَّفكيرِ

إنّما الأمْرُ في الهوى خَطَراتٌ ... مُحدَثاتُ الأمورِ بعدَ الأمورِ

فقالت: صدقتِ أنتِ، وكذبتُ أنا.

٩٦- أعرابي وسائل

لا تكن لحوحاً[1]

قال سائل لأعرابي: يا أعرابي، أعطني حاجة لوجه الله تعالى. فقال الأعرابي: واللهِ، ليس عندي ما أتفضَّل به على الناس، والذي عندي أنا أولى الناس به. قال السائل: أين الذين يُؤثرون الناس على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ فقال الأعرابي: ذهَبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً.

٩٧- عبيد الله بن سليمان وأبو العيناء

الطبع يغلب التطبّع

دخل أبو العيناء الشاعر على الوزير عبيد الله بن سليمان، فشكا إليه حاله. فقال عبيد الله: أما كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر؟ فقال أبو العيناء: نعم، كتبت إلى رجل من همته طول الفقر، وذلّ الأسر، ومعاناة محن الدهر، فأخفقته في طلبتي.

فأجابه عبيد الله: إنما أنت الذي اخترته لنفسك. فقال أبو العيناء: وما عليّ - أعز الله الوزير- في ذلك، فقد اختار موسى من قومه سبعين رجلاً، فما كان منهم رجل رشيد، واختار المصطفى ﷺ ابن أبي السرح كاتباً، فرجع

(١) اللحوح: الذي يكثر من الأسئلة، ويصر على طلب الشيء.

إلى المشركين مرتداً، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى حاكماً له، فحكم عليه.

٩٨- الخليفة المتوكّل وأبو العيناء

الجزاء من جنس العمل

قال الصوليّ: دخل أبو العيناء على الخليفة المتوكّل، فدعا له، وكلّمه، فاستحسن الخليفة كلامه، وقال: يا أبا العيناء، بلغني أن فيك شرّاً. فأجابه أبو العيناء: إن يكن الشر عبارة عن ذكر المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فقد مدَح اللهُ وذَمّ. فقال في المدح: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1]. وقال في الذم: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[2]. وقال الشاعر: [الطويل]

إذا أنا لم أمْدَحْ على الخيرِ أهلَهُ ... ولم أَذْمُمِ الرَّجُلَ اللئيمَ المُذَمَّما

فَفِيمَ عَرَفتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ ... وشَقَّ ليَ اللهُ المسامعَ والفَما

وإن كان الشر كفعل العقرب التي تلدغ الرفيع والوضيع بطبع لا يتميز، فقد صان الله عبدك من ذلك.

٩٩- الطفيلي والشعراء

نظر طفيلي إلى قوم ذاهبين، فلم يشكَّ في أنهم مدعوون إلى وليمة. فقام وتبعهم، فإذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدايح لهم، فلما أنشد كل امرئ منهم شعره، أخذ جائزته، فلم يبق إلا الطفيلي، وهو جالس ساكت. فقال السلطان: أنشد شعرك! فقال الطفيليّ: لست بشاعر، وإنما أنا من الغاوين الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[3]، فضحك السلطان، وأمر له بجائزة كجائزة الشعراء.

---

(١) سورة ص، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة القلم، الآيتان: ١١و١٢ . والهماز صيغة مبالغة للهامز، والهامز هو الذي يغتاب الآخرين، ويذكرهم بالسوء.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤ .

١٠٠- النابغة والنعمان وكعب بن زهير

رُبَّ كلمة جلبت نعمة، وكلمة جزت نقمة

دخل النابغة على النعمان بن المنذر، فقال: [الوافر]

تَخُفُّ الأرضُ إن تَفقِدْكَ يوماً ... وتبقى ما بَقيْتَ بها ثقيلا

فنظر إليه النعمان نظر الغضبان، وكان كعب بن زهير حاضراً، فقال: أصلح الله الملك، إنّ مع هذا البيت بيتاً ضلّ عنه، هو: [الوافر]

لأنّك موضعُ القِسْطاسِ منها ... فَتَمْنَعَ جانبيها أن تميلا

فضحك النعمان، وأمر لهما بجائزتين.

١٠١- الحريري وطالب الأدب

تسمح بالمعيدي خير من أن تراه

كان الحريري قذراً في نفسه، رديئاً في شكله، رثّ الهيئة، فجاءه يوماً رجل غريب، لكي يأخذ عنه شيئاً. فلما رآه على تلك الحالة السيئة، ازدراه في نفسه. ففهم الحريري منه ذلك، ولما حان وقت أخذ الدرس، أملى الحريري عليه قوله: [البسيط]

مَا أنتَ أوَّلُ سارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ ... ورَائدٍ أَعجَبَتْهُ خُضْرةُ الدِّمَنِ

فاخْتَرْ لنفسِكَ غَيْري إنَّني رَجُلٌ ... مِثْلُ المُعِيديِّ فاسمع بي ولا تَرَني

فخجل الرجل، وانصرف عنه.

١٠٢- الخليل بن أحمد وابنه

كان الخليل بن أحمد يقطّع في علم العَروض، فدخل عليه ولده في تلك الحالة التي لم يسبق له بها مثيل، فخرج إلى الناس وقال: إن أبي جُنَّ، فدخل الناس عليه وهو يقطّع العروض الذي اخترعه من بنات أفكاره، وأخبروه بما قال ابنه، فقال له: [الكامل]

لو كُنتَ تعلمُ ما أَقولُ عَذَرْتَني ... أو كنتُ أعلمُ ما تَقولُ عَذَلْتُكا

لكنْ جَهِلْتَ مقالتي فعَذَلْتَني وعلمتُ أنّكَ جاهلٌ فعذَرْتُكا

١٠٣- داود بن المهلب وأحد الأعراب

ليس في مال الأمير ما يفي بقدره

قام أعرابي بين يدي داود بن المهلب، وقال: إنّي مدحتُك يا أمير المؤمنين، فاستمع. فقال له داود: على رِسْلِك. ثم دخل بيته، فتقلَّد سيفه، وخرج وقال له: قلِ الآن، فإن أحسنتَ جازيناك، وإن أسأت قتلناك. فأنشد الأعرابي: [الطويل]

أمِنْتُ بداودٍ وجُودِ يَمينِهِ مِنَ الحَدَثِ المَخْشِيِّ والبُؤْسِ والفَقْرِ
وأصبحتُ لا أخشى بِداودَ كَبْوةً مِنَ الدهرِ لَمّا أنْ شدَدْتُ به أَزْري
له حُكْمُ داودٍ وصُوْرةُ يُوسُفٍ ومُلْكُ سُليمانٍ وعَدْلُ أبي بَكْرِ

فقال له داود: قد كافأناك، فإن شئتَ على قَدْرنا، وإن شئتَ على قَدْرك؟ قال الأعرابي: بل على قَدْري يا أمير المؤمنين. فأمر له بخمسين ديناراً، فأنكر عليه ذلك أحد الحاضرين، وقال له: يا أعرابي، أتحتكم على قَدْر نفسك، ولا تحتكم على قَدْر الأمير، وفيه كسب لك؟! قال الأعرابي: نعم، أحتكم على قدري، لأنه ليس في مال الأمير ما يفي بقدره.

١٠٤- ملك وغلام عربي

لا تمدحن أمراً حتى تجربه

مرّ أحد الملوك بغلام عربي يسوق حيواناً بعنف وشدة، والحيوان بطيء الحركة، قليل الهمة. فقال الملك: يا غلام، ارفق بهذا الحيوان، فقال الغلام: يا أيها الملك، في الرفق به مضرة له. قال الملك: وكيف ذلك! وإني لا أرى مضرة غير الذي هو فيه الآن؟ قال الغلام: ذلك أنه إذا أبطأ يطول طريقه، ويشتدّ جوعه، ففي العنف به إحسان إليه.

فقال الملك: وما الإحسان إليه؟

قال الغلام: يخفّ حمله، ويطول أكله. فأُعجب الملك بجوابه وكافأه،

فقال: هو رزق مقدور، وواهب مأجور. قال الملك: لقد أمرت بإثبات اسمك في بطانتي. قال الغلام: كفيت مؤونة، ورزقت بها معونة. قال الملك: ولولا حداثة سنّك، لاستوزرتك. قال الغلام: لن يعدم الفضل من رُزق العقل. قال له الملك: وهل تصلح لذلك يا غلام؟ قال الغلام: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها[1].

١٠٥- أعرابية وأخرى

لذّة الهوى في التنقّل

تزوّج أعرابي امرأة على امرأته، فجاءت الثانية على باب الأخرى، وقالت: [الطويل]

ومَا يَسْتَوي الرِّجْلانِ: رِجْلٌ صحيحةٌ ... ورِجْلٌ رَمى فيها الزَّمانُ فَشُلَّتِ

ثم عادت بعد أيام، وقالت: [الطويل]

ومَا يَسْتَوي الثَّوْبانِ: ثَوْبٌ بِهِ البِلى ... وَثَوْبٌ بأَيْدِي البائِعِينَ جَدِيدُ

فعند ذلك خرجت الزوجُ القديمة وقالت: [الكامل]

نَقِّلْ فُؤادَك حيثُ شئتَ مِنَ الهوى ... ما القَلْبُ إلا للحَبيبِ الأوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ في الأرضِ يألَفُهُ الفتى ... وحَنِينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

١٠٦- هشام بن عبد الملك وأعرابي

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]

مدح أعرابي هشام بن عبد الملك، فقال له هشام: يا هذا، إنّ مَدْح الرجل في وجهه غير مرغوب فيه، ومنهيّ عنه، فلا تمدح الناس في وجوههم. فقال الأعرابي: والله، يا هشام، إنّي لست أمدحك، ولكنني أُذكّرك بنِعَمِ المولى تبارك وتعالى عليك، حتى لا تنساها، فتجدّد لها شكراً.

---

(١) يبلوها: يختبرها ويمتحنها.

(٢) سورة الضحى، الآية: ١١ .

١٠٧- ثلاثة يناظرون عالماً من العلماء

كلّ ما خطر ببالك فهالك، والله بخلاف ذلك

كان أحد العلماء عاكفاً في بستان له، لا يخالط أحداً من الناس، فسمع به ثلاثة من الذين يسخرون من أمثاله، فقال قائل منهم: هلمّوا بنا لنناظره. فلما ذهبوا، وأجمعوا أن يسألوه، أشار إليهم أن ادنوا وتكلّموا، فتقدَّم الأول، وقال: أنتم تقولون: الله موجود، وبناءً عليه أطلبُ أن أرى الله.

فأشار إليه نعم، وتقدّم الثاني وقال له: أنتم تقولون العذاب يوم القيامة بالنار، والجِنّ خلقت من النار، فكيف تُعَذَّبُ النار بالنار؟! ثم تقدم الثالث وقال له: أنتم تقولون كل شيء بالقضاء والقدر، فإن كان كما تقولون، فالإنسان غير مؤاخذ على أعماله، وأنا أرى أن المرء يخلق أعماله.

فما كان من هذا العالم المسؤول إلا أن أخذ حفنة من التراب وذَرَّها في وجوههم، وقال لهم: هذا جوابي لكم على ما سألتموني. فأجمعوا أمرهم لا بد من سياقه إلى المحاكمة، ومشَوا به إلى الحاكم، فسأله الحاكم: أصحيح ما يقولون، من رَمْيك التراب في وجوههم؟ قال: نعم. قال له: ولِمَ؟

قال: لأن الأول سألني أن أريه ربَّه، حيث إنه موجود. فقل له يريني الألم الذي تألّم به من حفنة التراب، وأنا أريه ما يريد. فسأله الحاكم: يمكنك أن تريَه الألم؟ قال: لا. قال العالم: قُلْ إذاً: ليس كلّ موجود يُرى.

وأما الثاني، فسألني عن كيفية عذاب الجن بالنار يوم القيامة، واستبعدَ إيلام الشيء بمادته، فقل له: لِمَ هو تألّم من التراب وهو مخلوق منه؟

وأما الثالث، فسألني عن معنى القضاء والقدر، وقال لي: لا بدّ أن أُسَلِّمَ له بأن المرء مجبور على أعماله، ونسي ما للإنسان من الاختيار الكسبيّ، فإذا كنت أنا لا اختيار لي فيما فعلت به من ذرّ التراب، فلِمَ ساقني إلى المحاكمة؟

فنطق الحاكم وقال لهم: لا تروموا أن تحيطوا بالله خبرة، فإنه أعظمُ من أنْ تدركه فطن المخلوقات إلا من آثاره.

١٠٨- المنصور وابن إدريس

الحياء من الإيمان

رُوي أن ابن إدريس كان ليلةً بين يدي المنصور، وكان القمر يبدو تارةً، ويخفيه السحاب مرة أخرى، فاقترح المنصور على ابن إدريس أن يقول في ذلك شيئاً، فقال: [الوافر]

أرى بَـدْرَ الـسَّـمـاءِ يَـلُـوحُ حِـيـنـاً ... فـيَـبْـدو ثـمّ يَـلْـتَـحِـفُ الـسَّـحـابـا
وذلـــكَ أنَّـــهُ لَـــمّـــا تَـــبَـــدّى ... وأَبْـصَـرَ وجـهَـك استَـحْـيـا فَـغَـابـا

١٠٩- الجاحظ ومحمد بن عبد الملك

الكريم إذا نال أقال، واللئيم إذا نال استطال

كان الجاحظ كثير الميل، عظيم الرغبة إلى محمد بن عبد الملك دون أبي دؤاد، فلمّا نُكب محمد بن عبد الملك، جاؤوا بالجاحظ بين يدي أبي دؤاد مُكبَّلاً بالأصفاد. فقال له: «والله لا أعرفك إلا متناسياً للنعمة، كفوراً للصنيعة، معدِّداً للمساوئ، وما فتئت أستصلحُ لك، ولكن الأيام لا تصلح منك، لفساد طويَّتك[1]، ورداءة دخيلتك، وسوء اختيارك، وتغلُّب طباعك».

فأجاب الجاحظ بثبات وتؤدة: خفِّض عنك، أصلحك الله، فوالله لأن يكون لك الأمر عليَّ، خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيءَ وتحسنَ، أحسن في الأحدوثة من أن أُحسنَ أنا وتسيء أنت، ولأن تعفو عني على حال قدرتك عليّ، أجمل بك من الانتقام مني، والسلام.

١١٠- أبو العيناء وابن أبي دؤاد

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2]

قال أبو العيناء لابن أبي دؤاد: إنّ قوماً تضافروا عليّ. فقال ابن أبي دؤاد: لا يضرّك تضافرهم، فيد الله فوق أيديهم. قال أبو العيناء: ولكنهم

---

(١) الطوية: ما يخفيه الإنسان بداخله، النفس.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣ .

جماعة، وأنا فرد واحد. فقال ابن أبي دؤاد: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١). قال أبو العيناء: إن لهم مكراً وأخاف مكرهم. فقال ابن أبي دؤاد: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾(٢).

١١١- أعرابي وعجوز

إذا عميت البصائر، فلا ينفع نور النواظر

بينما كانت امرأة عجوز تمشي الهوينى، إذ مرّ أعرابي يقود بعيراً محمّلاً، فقالت: إلى من تحمل الهدية؟ فقال: ليست هذه هديّة، وإنما هي هَدْي. قالت: وما هداك؟ قال: كتاب في الدليل على وجود الله، فضحكت العجوز، فاستغرب الأعرابي، وقال: ألم أنبئك بالصريح، فما هذا الضحك يا أماه؟ قالت: يا بُنيّ، أنا لست أضحك منك، وإنما أضحك ممن لا يُقرّ بوجود مولاه بعد مشاهدة هذا الكون وما فيه من الآيات، ثم هو يقنع بحمل بعير. فقال لها: أما علمت أنه إذا عميت البصائر، فلتقرأ النواظر؟ قالت: صدقت.

١١٢- الصرصار والنملة

العاقل من ادخر في الرخاء، ما ينفعه في الشدة والشقاء. أضاع صرصارٌ زمنَ الصيف في اللهو واللعب، ولم يدَّخر للشتاء ما يُغنيه عن المسألة، ويقيه شرّ الذل. فلما جاء الشتاء، وافتقر إلى الغذاء، وعجز عن السعي لشدّة البرد، فقصد مسكن نملة، واستقرضها شيئاً من القمح حتى إذا جاء الصيف رده. فقالت له: وما منعك أن تدّخِرَ مثلي وتسعى سعيي، ولا تعرض وجهك لذلّ المسألة؟ فقالت: قد فرطت وندمت على ما فعلت. فقالت له: جزاء المفرط الإهمال ومقابلته بالإعراض، وليس عندي ما أستغني عنه وأدفعه إليك، فسَلْ غيري، وتذكَّرْ موقفَك هذا متى جاء الصيف. فقال: يا أختاه، قد سمعت مقالتَك، وقبلتُ نصيحتك، والآن لا أجد من يُقْرضني، فأجيبي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩ .
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣ .

سؤالي وكفاني ما رأيت، جزاكِ الله خيراً. فأعطته جزءاً من القمح، فتناوله ومضى كئيباً حزيناً. وذلك جزاء المهملين.

١١٣- الأسد والذئب والثعلب

الفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها

يروى أن أسداً مرض، فعادته الوحوش، وتخلّف الثعلب، فوشى به الذئب عند الأسد، فسمع الأسد كلامه، وقال له: إن جاء، فأخبرني. وكان بحضرتهما أرنب، فمضى مسرعاً وأخبر الثعلب بما جرى، فصاد الثعلب كركيّاً[1]، وترقّب خلوةَ الأسد، ودخل عليه. فقال له الأسد: ويلك! أَمْرَضُ، فتعودني الوحوش كلُّها إلا أنت! فقال الثعلب: أيها الملك المطاع أمره، الشديد بأسه، الجليل قدره، لقد علمت مرضك، فحزنتُ كثيراً، ولكني كنت أستشير الأطباء، فأشاروا عليّ بأن تأكل كركياً، وتستخرج مرارته، وتمزجها بدم ساق ذئب، وتدهن بها، فإنك تبرأ بُرءاً عاجلاً بمشيئة الله تعالى، وقد أحضرت الكركي.

فتناوله الأسد، واستخرج مرارته وأكله، فوجد من نفسه نشاطاً، فصدّق الثعلب. فلما حضر الذئب، قبض عليه الأسد، وقطع رجلاً منه، ومزج مرارة الكركي بدمها، وادّهن بها. فخرج الذئب ودمه يتقطر، ورجله ترجف حتى سقط مغشياً عليه.

فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر، إذا حضرت المجالس، فاحفظْ لسانك، واترك الوشاية، فإنك تنجو من الضرر، وتسلم من الخطر.

[مخلّع البسيط]

إذَا حَضَرْتَ المَلوكَ فالْبِسْ ... مِنَ التّوقّي أَجَلَّ مَلْبَسْ
واذْخُلْ إذا ما دَخَلْتَ أعمى ... واخرُجْ إذا ما خَرَجْتَ أَخْرَسْ

١١٤- البلبل والأرنب

لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك

يقال: إن نسراً اختطف أرنباً وطار، فرآهما بلبل، فخاطب الأرنب شامتاً

(١) الكركي: طائر معروف.

مستهزئاً، وقال له: أين كانت رجلاك أيها الأرنب حين اختطفك هذا النسر؟ فسمع صوته غراب، فانقضّ عليه وأخذه، فقال الأرنب للبلبل وهما يعانيان من الموت: أين كان جناحاك يا بلبل حين أخذك الغراب؟ فانظر ما دهاك، وشاركني في الهلاك، ولا تفرح لمصيبة غيرك ولا تشمت به، فإن ذلك جهل وحمق. ألم تسمع قول القائل: [الوافر]

إذا مَا الدَّهْرُ جَرّ على أُناسٍ ... نَوائِبَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينا

فقُلْ للشَّامِتينَ بنا أَفيْقُوا ... سَيلقَى الشّامتونَ كَما لَقِيْنا

ثم شهق شهقة مات بعدها، وكذا البلبل. فالعاقل لا يشمت بغيره، ولا يفرح لمصيبة سواه.

١١٥- البطّتان والسُّلْحُفاة

من لم يسمع يأكل لما يشبع

كان بغدير بطتان وسلحفاة، كُنّ على أحسن ما يكون من الوئام والصفاء، فغاض ماء الغدير، وأجدبت الأرض، فعزمت البطتان على الرحيل لارتياد الماء والعشب. فقالتا للسلحفاة: قد أصبح هذا المكان كما ترين من الجدب، وسنرتحل عنه. فقالت لهما: خذاني معكما، لأني لا أهنأ بفراقكما. فقالتا لها: حباً وكرامة، سنأخذ بطرفي عود، وتتعلّقين في وسطه بأسنانك، وإياك أن تنطقي إذا سمعت الناس يذكرونك بشيء، ففعلت، وطارتا بها.

فقال الناس: عجباً! سلحفاة بين بطتين يحملانها. فلما سمعت السلحفاة قولهم: لم تملكْ نفسها ولم تعمل بالوصية، وقالت للناس: فقأ الله أعينكم، فسقطت عقب كلامها، وماتت لوقتها. وذلك جزاء تركها نصح المحبّين، ووصيّة المخلص الأمين.

١١٦- الأسد والثعلب والكلب

العاقل من وعظ بغيره

اصطحب أسد وثعلب وضبع، فخرجت للصيد ذات يوم، فصادت حماراً

وظبياً وأرنباً. فقال الأسد للضبع: اقسم بيننا. فقال: الأمر هيّن، الحمار لك، والظبي لي، والأرنب للثعلب، فضربه الأسد ضربة قضت عليه.

ثم أقبل على الثعلب وقال له: إن هذا الخائن لم يحسن القسمة، فاقسمْ أنت. فقال: يا أبا الحارث، الأمر بَيِّن، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، وكُلِ الأرنب فيما بين ذلك. فقال الأسد: ما أحسن قضاءك! من علّمك هذا؟ فقال: علَّمَنيه موت هذا الخائن. والعاقل من وُعظ بغيره.

١١٧- الذئب والحمل الصغير

ذهب حمل صغير إلى نهر ليشرب من مائه كعادته. فرآه ذئب، فأقبل عليه مسرعاً، ووقف في الجهة العليا التي يرد منها الماء، ثم قال للحمل: عكّرْتَ عليّ صَفْوَ الماء. فقال الحمل: كيف ذلك، والماءُ يجري إليَّ من عندك؟ فغضب الذئب، وقال: لقد أسأتَ الأدب، واقترفت ذنباً ثانياً بردِّك، ولي عليك ذنب ثالث، وهو سبِّي وشتمي في السنة الماضية.

فقال الحمل وهو موقن بالهلاك: يا سيّدي، أنا مولود في هذا الحول، وقد خاطبتك بكلِّ أدب ولين. فقال الذئب: ويلك يا خبيث، إن لم تكن أنت الشاتم، فهو أبوك أو أخوك أو أحد أقاربك، وعلى كل حال، فأنتم لنا أعداء من غير استثناء. ثم وثب عليه ومزّقه وأكله.

وهكذا قوّة أهل الظلم تحملها على ارتكاب الجرم.

١١٨- العصفور وأولادها

من لم يتحمل ذلّ التعلُّم ساعة، عاش في ذلّ الجهل أبداً

خرج تلميذ للَّهو واللعب تاركاً دروسه، مهملاً واجباته، ثم جلس في بستان، فرأى عصفوراً فوق شجرة تعلِّم أولادها الطيران، فأخرجت الأول ثم طارت أمامه من أسفل الغصن إلى أعلاه، ومنه إلى ما يجاوره، ثم إلى أبعد منه، وهو يتبعها، وما زالت به تعلِّمه حتّى قَدر أن يفارق الشجرة إلى شجرة أخرى، فتركته، وجاءت بغيره وعلّمته، وهكذا حتى صادفها فرخ من فراخها لم يقدر على اتباعها، فأخذته إلى العش ونقرته نقراً شديداً وطارت، فتبعها،

وما زالت به حتى صار كإخوته، وتمتّع بهذا الفضاء الفسيح يطير فيه ويصيح.

فلما رأى التلميذ المهمل ما رأى، خاطب نفسه وقال: إن أنا تحمّلت ألم التعلُّم جزءاً من حياتي، عشت سعيداً كما يعيش العصفور. واعتنى بدروسه، فكان النجاح أليفه، والسعد حليفه.

١١٩- القنبرة وفرخها

من استعجل على شيء قبل أوانه، عُوقب بحرمانه

يقال: إن قنبرة كانت تعلِّم فرخها الطيران، فنصحت له ألا يعتمد على جناحيه، حتى يأنس من نفسه القوّة والشدّة، وجعلت تطير أمامه من غصن إلى غصن يقاربه، ومن عود إلى عود يجاوره، وهي تستريح في كل نقلة كي يستريح فرخها، ولا يملّ ثقل الهواء، فخالفها وطار، وارتفع مظهراً النشاط والمهارة. فخانه جناحاه، وانكسرت ركبتاه، ولم ينل مناه. ولو تأنّى لنال ما تمنى، وعاش سعيداً: [الرجز]

لِكُلِّ شَيءٍ في الحَياةِ وَقْتُهُ وغايةُ المُستعجلينَ فَوْتُهُ

١٢٠- الحمار والكلب

﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾(١)

سافر رجل ومعه كلبه وحماره، في يوم شديد الحر، فلما جاء وقت الظهيرة، أوقف السير ليستريح، ثم نام. فدخل الحمار أرضاً مزروعة، وأكل منها. وكان بعنق الحمار سلّة فيها طعام، فقال الكلب: يا هذا، طَأْطِئْ رأسَك حتى آخذ طعامي من السلّة، فقد أضرَّ بيَ الجوع، فامتنع الحمار، وقال: انتظرْ مولاك حتى يستيقظ، فيعطيك نصيبك. ولم يُتمّ الحمار كلامه، حتى خرج عليه ذئب عظيم، فاستغاث بالكلب، فقال له: إني لا أستطيع منع الذئب عنك حتى يأذن لي مولاي، فانتظرْ حتى يستيقظ. ثم وثب الذئب على الحمار، ومزّق بطنه. وهذا جزاء السفيه الغبيّ الجاهل: [البسيط]

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣ .

مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحصُدْ في عواقبِهِ نـدامـةً ولِـحَـصْـدِ الـزَّرْع إبّـانُ[1]

١٢١- الطير والثعلب

لا تعاشرْ من لا تعرفه حتى تختبره

يقال إن ثعلباً ذهب إلى سفح جبل فيه شجر مورق، فوقه طير كثير. فجاء إليه عظيمُ الطير، وقال له: من أين أنت؟ وما صنعتك؟ فقال: إني عابر سبيل، وصناعتي حفظ الطير من الإنسان، ومعرفة الثمار إذا نضجت. فقال له عظيم الطير: عشْ معنا، وكل مما نأكل منه، واشرب مما نشرب.

فرضي الثعلب، وجعل يخبر الطير بنضج الثمار، والاحتراس من الصيّادين إذا أقبلوا. فعظمت منزلته. ثم تاقت نفسه إلى أكل اللحم، فصار يأخذ الطائر ويأكله، ويدفن ريشه وعظامه، حتى أذهب كثيراً من الطير، فشكت الطيور ذلك إلى عظيمها، واتهمت الثعلب. فقال عظيمها: سأبحثُ عن ذلك بنفسي. ولما جنّ الليل، أقبل الثعلب، فصادف عظيم الطير، فأخذه، فقال له: اتركْني أجعل منزلتك عظيمة بيننا. فقال الثعلب: إن آبائي أدّبَتْني ألا أعلق أنيابي بصيد وأتركه، ثم أكله، ودفن ريشه وعظمه كعادته. ولما علم الطير ذلك، اجتمع على الثعلب، وجعل ينقره حتى مات. وهذا جزاء الخائن، وتلك عاقبة من يعاشر من لا يعرفه: [الطويل]

لا تُـظْـهِـرَنَّ وُدَّ امـرِئٍ قـبـل خُـبْـرِهِ وبَـعْـدَ بـلاءِ الـمـرءِ فـاذْمُـمْ أو احـمَـدِ

١٢٢- الأسدان

العدل أحسن شيمة، والغدر عاقبته وخيمة

يُزعم أن أسداً تملَّك على الوحوش، فظلم واستبدّ وجار، ولم يعدل. فأجمعت على بغضه، وتربّصت به الدوائر. وكان فيها شبل مات أبوه، وربَّتْه أمه أحسن تربية. فلمّا كبر ملك القلوب بإحسانه، وجميل خِلاله، وانضم إليه قسم من الوحوش، فسار بالعدل والإحسان. ولما علم به الأسد الظالم،

---

(١) إبّان: وقت أو زمن.

جمع الوحوش لمقابلته، والإيقاع بما معه من الوحوش، وسار إليه بقضّه وقضيضه[١]، فارتاع الأسد العادل مما رأى، واستشار أصحابه، فأشاروا عليه بملاقاته، وقالوا له: إننا سنحارب بقلوبنا، وسنخذله وما معه من الجموع.

ولمّا التقى الجمعان، انفضّ من حول الظالم جنده، وبقي في الميدان وحيداً، فأُسر وأُوقف أمام الأسد العادل موقف الصغير الذليل. فعفا عنه وسجنه، وأمر أن يقدم إليه كل ما يحتاجه من طعام وشراب، واستولى على ملكه، فحكمه بالعدل، وانفرد بالحكم.

١٢٣- الغراب والسنور

وإنما الإخوان في الشدائد

تآخى غراب وسنّور، وتصادقا وتحابّا، فكانا ذات يوم جالسين تحت شجرة يتحدّثان، فأقبل عليهما نمر، فطار الغراب على الشجرة، وبقي السنّور متحيِّراً، فقال للغراب: أيها الصديق المخلص، نَجِّني بحسن حيلتك. فطار الغراب، نحو راع كان قريباً من الشجرة ومعه كلابه، فناوشها فاتبعته، وما زال يناوشها وتتبعه، حتى اقترب من النمر. فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه ومزّقته شرّ ممزَّق. ونجا السنور بحيلة الغراب صاحبه وصديقه. وهكذا تكون الإخوان: [الوافر]

جَزى اللهُ الشّدائدَ كُلَّ خيرٍ ... عَرَفْتُ بها عَدُوّي مِنْ صَديقي

١٢٤- الأسد والحمار

لا تأمن عدوك أبداً

ذهب حمار إلى المراعي، فغاصت قوائمه في الطين، فرام الخلاص، فازداد غوصاً. فجعل يشرب مما حوله من الماء، ويأكل ممّا جاوره من النبات حتى شبع، فنهق عالياً، فسمعه أسد، فأقبل عليه وسلَّم. ثم سأله عن أمره، فحيّاه وقال له: يا أبا الحارث، لولا الوحل ما مكثت هنا، فأنقذني،

---

(١) معناه الأساسي: صغار الحصى، وهنا بمعنى كل ما يملكه ويسيطر عليه.

فأنت ملك كريم. فقال الأسد: أنا كما قلت، وسأكشف عنك الكرب، عاملاً بقول القائل: [الرجز]

ومَنْ أغاثَ البائسَ المَلْهوفا أغاثَهُ اللهُ إذا أُخِيفا

ثم ذهب إلى مسيل الماء وسدَّه، فجعل يقلّ، والحشيش يذهب من الأكل، حتى انتهى الماء والحشيش من حول الحمار، فشرع الأسد يجمع بعض الحشائش ويقدِّمها إليه، حتى جفَّت الأرض واستطاع المشي عليها، فوثب على الحمار وثبة تركته ممزَّقاً، فأكله وانصرف، بعدما أظهر من المساعدة والإحسان ما يغترّ به كل جهول: [البسيط]

إنّ العدوَّ وإنْ أبدى مُسالَمةً إذا رأى مِنْكَ يوماً غِرَّةً وَثَبا[1]

١٢٥- الحمامة والصقر

مَنْ ظَلَمَ مَنْ دونَهُ ظَلَمَهُ مَنْ فوقَه

طارت حمامة، فبصرت بحَبّ تحته خيوط جميلة بيضاء، فنزلت لتأكل، فأمسكت بها الخيوط، فإذا هي شرك لصياد، فحمدت ربها على ما أصابها. ولكنها ما لبثت أن رآها صقر، فانقضّ عليها ليأخذها ظلماً وبغياً، فوقع معها في الشرك. فقالت الحمامة: ويحي، مصيبتان في آن واحد. ولم تكد تتمّ كلامها حتى جاء الصياد ليأخذهما، فقال له الصقر: أيها الإنسان، ارحمْني واعفُ عني. فقال له: وما أوقعك في هذا الشرَك؟ ألم ترَ الحمامة فسقطْتَ عليها كالصاعقة، لتأخذها أخذ الباغي الأذى، فوقعتَ حيث وقعَتِ الحمامة؟ لو أنك لم تفعل الأذى، لم ينلْك الأذى. ولا بد للظالم من يوم يُعاقَب فيه على شرّ ظلمه، ألم تسمع قول القائل: [الخفيف]

إنّ مِنْ أضعفِ الضُّعَفاءِ لدى اللهِ قويٌّ يَسْتضعِفُ الضُّعَفاءَ

ثم أخذهما، ومضى.

١٢٦- الغراب المقلِّد للنسر

التقليد الأعمى يضر

رأى غراب نسراً عظيماً قد انقض على حمَل صغير من الغنم، واختطفه

---

(١) الغرة: الضَّعف.

وطار به، فأراد الغراب أن يقلّده فيما فعل، فطار وارتفع، ثم نزل مسرعاً على كبش قد عظم صوفه وطال، فعلق به أظفاره، ثم حاول الصعود به فلم يقدر، فأراد النجاة فلم يقدر، فجاء الراعي وأولاده، وأخذوا الغراب، وأذاقوه العذاب، وذلك جزاء من لم يحسن التقليد، كما قيل: [البسيط]

يا بارِيَ القَوْسِ بَرْيَاً لستَ تُحْكِمُهُ ... لا تَظْلِمِ القوسَ أَعْطِ القَوْس باريها

١٢٧- اجتماع الجرذان

[الوافر]

وَهَلْ في شِرْعَةِ الإنصافِ أَنّي ... أُكَلَّف خُطَّةً لا تُسْتَطاعُ

اجتمع الجرذان للنظر في حيلة تهلك القط الذي كدّر عليها صفوَها، فأبدى كلٌّ رأيه، وذهبت أغلب الآراء سُدًى، فقال كبيرها: رأيت حيلة، وأظنها مفيدة، إن عدوّنا القط يسير في أماكن كثيرة من غير أن يسمعه أحد، وبذلك يتمكن من إهلاكنا، فعلينا أن نمسكه ونعلّق بجِيده جلجلاً[1]، إذا جاء سمعنا به من بعيد، فيأخذ كلٌّ منا حذره، وبذلك نأمن شره. فقال الصغير: الحيلة جميلة، ولكن تنفيذها من أصعب الأمور، لأن القط شيطان رجيم وعفريت كبير، لا يقدر أحد منا أن يقبض عليه، وأرى أن كبيرنا يقوم بتنفيذ رأيه.

فقال الكبير: عليّ أن أفكّر وعلى غيري التنفيذ. فقال له الجرذان: إذا كنتَ كبيرنا، ولم تقدر على تنفيذ ما دبّرت، فأنى لنا ذلك؟ وذهب التدبير لعدم وجود المنفّذ، فعادت الفئران خائبة، وكبيرها ينشد: [الطويل]

ولَوْ كانَ شَيئاً يُسْتَطاعُ فَعَلْتُهُ ... ولكنَّ ما لا يُسْتَطاعُ شَديدُ

١٢٨- الذئاب والنعاج والراعي

الطبع يغلب التطبّع

أقبل كبير الذئاب على الراعي، وقال له: يا راعي الشاء العادل، قد قدمتُ إليك لنتعاهدَ على ترك الخيانة والظلم، وإلقاء القسوة والبغي، ونعيش معاً في أمان ووئام. فقال الراعي: طلبتَ خيراً أجيبك إليه، ولكن أين

(١) الجلجل: الجرس الصغير.

الضمان؟ فقال الذئب: الأمر هيّن، ندع عندك صغارنا، وتحبس عنا الكلاب. فإن خُنّا أطلقت الكلاب وأهلَكْتَنا وأولادنا. فرضي الراعي، وحبس الكلاب، وأخذ أولاد الذئاب، وربّاها مع الأغنام، ولكن الذئاب لما كبرت، عَدَتْ على الأغنام، وفتكت بها فتكاً ذريعاً. وغلبها طبعها، ولم يُفد تأديبها، ولم تنفع تربيتها، وعادت إلى ما جُبلت عليه من أكل الأغنام، والرغبة في افتراسها. وقد قيل: [الوافر]

بَقَرْتَ شُوَيْهَتي وفَجَعْتَ قلبي ... وأنت لشاتِنا ولدٌ رَبِيْبُ[1]

غُذِيتَ بِدَرِّها ورَبيتَ فينا ... فَمَنْ أَنْباكَ أنَّ أباكَ ذِيْبُ

إذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ ... فلا أَدَبٌ يُفيْدُ ولا أَديبُ

١٢٩- القط والجرذان

من خاف سلم

طال جوع القط، وزاد كربه، وساءت حياته، ولم يجد ما يسدُّ به رمقه. إن ذهب إلى الآكلين يلتمس منهم كسرة ضربوه، وإن طلب الجرذان هربت منه، حتى هزل، وبانت عظامه. فرأى مِشْجباً، فتعلق فيه برجليه، وطرح جسمه ويديه، وصار كالمصلوب. فخرج جرذ صغير، فرآه على هذه الحالة، فذهب مسرعاً وأخبر أصحابه، كبيرَها وصغيرها، فجاءت عَجِلَة لترى القط، وتفرح لنكبته. فلما رأته قالت له: قاتلَكَ الله، وأدخلك النار، لقد كدَّرْتَ علينا حياتنا. ثم خاف بعضها ودخل الشقوق، وبعضها وقف ليفرح بمصاب عدوه.

فلما رأى القط ذلك، خاف أن تذهب كلها، فانقضّ على الباقي منها وافترسه، وأنعش نفسه بأكله، ونجا ما خاف وأخذ حذره، وهلك ما لم يخف ولم يأخذ حذره. وقد قيل: [البسيط]

لا تَتْرُكِ الحَزْمَ في شَيءٍ تُحاذِرُهُ ... فإنْ سَلِمْتَ فما في الحَزْمِ مِنْ بَاسِ

---

(١) الشويهة: تصغير شاة.

١٣٠- الأسد والبعوضة

[البسيط]

لا تَحْقِرَنَّ صَغيراً في مُخاصَمَةٍ إنَّ البَعوضَةَ تُدْمي مُقْلَةَ الأسَدِ

ذهبت بعوضة إلى الأسد، وسلَّمتْ عليه، فازدرى بها واحتقرها، ولم يردّ عليها السلام، فقالت له: ما جنيتُه حتى تعاملني هذه المعاملة؟ فسبَّها وزجرها، لأنها اجترأت عليه، وقابلته في عرينه، وزاد جرمها بكلامها في حضرته، فتوعَّدها بالقتل. فقالت له: ما هذا الذي تُسَوِّل لك به نفسك؟ لا تغترّ بجسمك، ولا تعتمد على قوّتك، وسيحكم الله بيني وبينك، وهو خير الحاكمين.

فغضب الأسد وزمجر، وقام ليبطش بها، فطارت أمامه، وقالت له: سأشربُ من دمك، وآكل من لحمك، فازداد غيظاً وغضباً. ثم كرّت عليه ولدغتْه في عينه، فضرب عينه بيده. ثم لدغته في إبطه، فجعل يثب في الهواء وثَباتٍ عظيمة. وما زالت به تلدغه، وهو يضرب نفسه، ويرتفع وينخفض ويزمجر، حتى خارت قواه، وسالت دماه، ووقع على الأرض ميتاً جزاء كبره وغطرسته، واحتقاره شأن عدوه. ولقد صدق قول من قال: [الكامل]

لا تَحْقِرَنْ شَأنَ العَدُوِّ وكَيْدَهُ فَلَرُبّما صَرَعَ البَعوضُ الفِيْلا

١٣١- النعجة وأولادها والذئب

من احترس نجا

خرجت النعجة إلى المراعي، وتركت أبناءها بعد أن أغلقت دونها الباب، غلقاً محكماً، وقالت لكبيرة الأولاد: إيّاكِ أن تفتحي الباب لأحد حتى تعرفيه وتعرفي جنسه، فإن كان منا فافتحي، وإن لم يكن فلا تفعلي. فسمع الذئب كلامها، وكان مختفياً. فلما ذهبت النعجة، جاء الذئب، وقرع الباب، فقالت الكبيرة: من أنت؟ فقال: أنا ابن عمك، ورأيت الذئب مقبلاً، وهو لا يراني، فافتحي وأنقذيني منه.

فقالت له: لا أفتح لك حتى تمدّ يدك وأراها، فإن كانت كأيدينا فتحت لك، وإلا عرفت أنك محتال تريد بنا الشر. فاحتار الذئب ورجع خائباً، ونجت كبيرة الأولاد مع أخواتها بالاحتراس والعمل بنصيحة أمها. وقد قيل: [الطويل]

وَلَكِنْ أخو الحَزْمِ الَّذي ليسَ نازِلاً بِهِ الخَطْبُ إلا وَهْوَ للخَطْبِ مُبْصِرُ

١٣٢- الكلبان والذئب

إذا أردت شيئاً فتدبر عاقبته

اصطحب كلبان، وسارا حتى وصلا شاطئ نهر، فرأيا ذئباً على الشاطئ الآخر، ورغبا في افتراسه، ولكن الماء حال بينهما وبينه، فقال كبيرهم: الأمر سهل يسير، نشرب هذا الماء حتى تبدو الأرض، فنسير إليه، ونقضي غرضنا منه. فقال الثاني: نِعْم الرأيُ رأيُك، ولم يفكّر في أن هذا مستحيل، لأن الماء كثيرٌ، وجارٍ لا ينقطع، ولو اجتمعت كلاب البلد لا تقدر على شربه، ثم جعلا يشربان، والذئب يضحك من فعلهما، ويهزأ بعملهما، وهو آمن مطمئنّ، حتى امتلأا، وانفجرت بطنهما، وفاضت روحهما، جهلاً وجنوناً وطمعاً في المستحيل، فالعاقل لا يعلّق آماله بغير الممكن، ولا يُقدم على شيء حتى يفكّر، وإلا كان كمن قيل فيهم: [الطويل]

ولا يَتّقون الشَّرَّ حتى يُصيبَهُمْ ولا يَعْرِفونَ الأمْرَ إلاّ تَدَبُّرا

١٣٣- الذئب والراعي

رُبّ حيلة أهلكت المحتال

خرج ذئب يبحث عن قوت له، فرأى غنماً قد أطلقها راعيها، ونام خالعاً ثيابه، ونامت كلابه بعده، فجاء الذئب وأخذ يفكّر في حيلة ينال بها غرضه، فرأى أن يلبس ثياب الراعي، فلا تنفر منه الغنم، ولا تؤذيه الكلاب. ففعل ذلك، ولكنه أراد أن يحاكي الراعي في كل شيء حتى في صوته فعوى، فقام الراعي مذعوراً، وأقبل عليه يضربه بالعصا، وجاءت الكلاب ومزّقته شرّ

ممزّق، ولو أنه أجاد الحيلة وأتم التدبير ولزم الصمت لنجا، ولكنه لم يفعل، فأهلكته حيلتُه، وأماته ضعف رأيه وسوء تدبيره، وقد قيل: [البسيط]

مَنْ دَبَّرَ العيشَ بالآراءِ دام لَهُ صَفْوَاً وجاءَ إليهِ الخَطْبُ مُعْتَذِرَا

١٣٤- زياد ومعاوية والأحنف

فضل العرب

لما تمّ الأمر لمعاوية، جاءته وفود المهنّئين، فكان منها وفد العراق وفيه زياد والأحنف، فقال زياد: يا أمير المؤمنين، أشخصت إليك أقواماً الرغبةُ، وأقعد عنك آخرين العذرُ. فقد جعل الله في سعة فضلك ما يجبر به المتخلّف، ويكافئ به الشاخص. فقال معاوية: «مرحباً بكم يا معشر العرب. أما والله، لئن فرقت بينكم الدعوة، لقد جمعكم الرحم. إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم، ثم حفظ عليكم نسبكم، بأن تخيّر لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل، حتى صفاكم من الأمم، تصفية الفضة البيضاء من خبثها، فصونوا أخلاقكم، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم. فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه. والقبح منكم أقبح لبعدكم عنه». فقال الأحنف: والله يا أمير المؤمنين ما نعدم منكم نائلاً جزيلاً، ورأياً أصيلاً، ووعداً جميلاً. وإن أخاك زياداً لمتبع آثارك فينا، فنستمتع والله بالأمير والمأمور. فإنكم كما قال زهير: [الطويل]

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فإنّما تَوَارَثَهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ

وهَلْ يُنْبِتُ الخِطِّيَّ إلاّ وَشِيْجُهُ وتُغْرَسُ إلاّ في مَنابِتِها النَّخْلُ

١٣٥- المعتصم وتميم السدوسيّ

إنّ من البيان لسحراً

خرج تميم السدوسي على المعتصم، وظفر به، وأحضر له السـ والنطع[1]. وكان تميم وسيماً جميلاً. فأحب المعتصم أن يعرف أ من منظره؟ فقال له: تكلّم. فقال: أما إذا أذنت يا أمير المؤمنين

(١) النطع: البساط الذي يوضع عليه مَنْ يُنفذ فيه حكم الإعدام بقطـ

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. جبر الله بك صدع الدين، ولَمّ بك شعث المسلمين، وأوضح بك سبل الحق، وأخمد بك شهاب الباطل. إن الذنوب تُخرس الألسنة الفصيحة، وتعيي الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليّ أسبقهما بك وأولاهما بكرمك.

ثم قال: [الطويل]

أَرَى الموتَ بَيْنَ السَّيْفِ والنِّطْعِ كامناً ... يُلاحِظُني مِنْ حَيْثُ ما أَتَلَفَّتُ

وأكْبَرُ ظَنّي أنّكَ اليومَ قاتِلي ... وأيُّ امرِئٍ مِمّا قَضَى اللهُ يُفْلِتُ

وأيُّ امرِئٍ يأتي بعُذْرٍ وحُجّةٍ ... وسَيْفُ المنايا بينَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ

وما جَزَعي مِنْ أنْ أموتَ وإنّني ... لأعْلَمُ أنّ الموتَ شيءٌ مُؤَقَّتُ

ولَكِنّ خَلْفي صِبْيَةً قد تَرَكْتُهمْ ... وأكبادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ

فإنْ عِشْتُ عاشوا سالِمينَ بغِبْطَةٍ ... أذودُ الرَّدى عنهمْ وإنْ مِتُّ مُوِّتوا

وكَمْ قاتلٍ لا يُبْعِدُ اللهُ دارَهُ ... وآخرَ جَذْلانَ يُسَرُّ ويَشْمَتُ

فتبسم المعتصم، وعفا عنه.

١٣٦- المهدي ويعقوب وأحد عماله

المحاورة الحسنة

سخط المهدي على يعقوب، فأحضره وقال: يا يعقوب. قال: لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لوجدك، شرق بغصتك. قال: ألم أرفع قدرك وأنت خامل، وأشيد ذكرك وأنت هامل، وألبسك من نعم الله تعالى ونعمي ما لم أجد عندك طاقة لحمله، ولا قياماً بشكره؟ فكيف رأيت الله أظهر عليك، وردّ كيدك إليك؟

قال: يا أمير المؤمنين، إن كنتَ قلت هذا بتيقُّن وعلم، فإنّي معترف، وإن كان لسعاية الباغين، ونمائم المعاندين، فأنت أعلم بأكثرها، وأنا عائذ بكرمك وعميم شرفك.

فقال المهدي: لولا الحسب في دمك، لألبستك قميصاً لا تشدّ عليه أزراراً. ثم أمر به إلى السجن، فولّى وهو يقول: الوفاء يا أمير المؤمنين كرم، والمودة رحم، وما على العفو ندم، وأنت بالعفو جدير، والمحاسن خليق. فأقام في السجن إلى أن أخرجه الرشيد.

١٣٧- معاوية والنعمان بن العجلان الزرقي

قُلِ الحق ولا تخشَ فيه لومة لائم

يروى أن معاوية بن أبي سفيان كان جالساً، وعنده فئة من الأشراف، فقال معاوية: من أكرم الناس أباً وأماً، وجدّاً وجدة، وعمّاً وعمّة، وخالاً وخالة؟ فقام النعمان بن العجلان الزرقيّ بعدما أخذ بيد الحسن، فقال: هذا أبوه علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة، وجدّه رسول الله ﷺ، وجدته خديجة، وعمه جعفر، وعمته أم هانئ ابنه أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب. فهذا هو الشرف الذي لا يُدانى، والفضل الذي لا يُبارى. فانظر كيف قال نعمان الحق، ومعاوية إذ ذاك خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، فكان يجوز أن يشرِّفه على سواه، ولكنه آثر الحقّ وقال الحق، فهكذا تكون الشهامة والصراحة والحرية.

١٣٨- عبد الله بن همام السلولي

ويزيد الأول بن معاوية

لما توفِّي معاوية، قدم عبد الله بن همام السلولي مهنِّئاً ومعزِّياً، فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزيَّة، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فلقد رزيت عظيماً، وأُعطيتَ جسيماً، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزيت. فقد فقدت خليفة الله، ومنحت خلافة الله، ففارقت جليلاً، ووهبت جزيلاً، إذ قضى معاوية نحبَه، فغفر الله له ذنبه، ووُلِّيت الرئاسة، فأُعطيت السياسة، فأوردك الله موارد السرور، ووُفِّقْت لصالح الأمور، ثم أنشد: [البسيط]

اِصْبِرْ يَزِيْدُ فقدْ فارقْتَ ذا ثِقَةٍ ... واذْكُرْ حَباءَ الذي بالْمُلْكِ أصْفاكا

لا رِزْءَ أصبَحَ في الأقوامِ نَعْلَمُهُ ... كما رُزِئْتَ ولا عُقْبى كعُقْباكا

أصبحتَ والِيَ أَمْرِ النّاسِ كُلِّهِمُ فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرعاكا

فَسُرَّ من كلامه، وأحسن صلته.

١٣٩- عبد الملك وابنه الوليد

نصيحة غالية، وموعظة عالية

يروى أن عبد الملك بن مروان لما ولّى ابنه الوليد دمشق، كتب له بذلك، وقال له: يا بنيّ، لأبيك صنائع قد رسخت في المجد أصولها، وأورقت في العلا فروعها، وانتشر عند الناس ذكرها، فلا تهدمن ما قد شرف لك بناؤه، وأضاء لك ضياؤه، فكفى من سوء رأي المرء وقبيح أثره وضعة نفسه أن يهدم ما قد شيّد له من فضيلة البناء ورفيع الثناء. وإياك وأعراض الأحرار، فإن الحر لا يرضيه من عرضه عوض. واجتنب العقوبة، فإنها وِتر مطلوب، وعار باق. ولا يمنعك من ذي فضل سبقت إليه صنيعة غيرك أن تصطنعه، فإن صنيعة ذي الفضل شكر تستوجبه، وكنز تدخره واستعمل أهل الفضل دون أهل الهون، ولا تعزلْ إلا من عجز أو خيانة، وليكن جلساؤك غير أسنانك، فإنّ الشباب شعبة من جنون، وإن نازعتك نفسك على أخذ شيء من المال، فلا يكن خصمك إلا بيت المال، وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفهم عني وعنك، وإذا كتبت كتاباً، فأكثر النظر فيه، فإن الكتاب موضع عقل الرجل، ورسوله موضع عقله: [الطويل]

إذا لم يُعِنْكَ اللهُ فيما تُريدُهُ ليسَ لمخلوقٍ إليهِ سَبيلُ

وإنْ هُوَ لم يَنْصُرْكَ لم تَلْقَ ناصراً وإنْ عَزَّ أنصارٌ وجَلَّ قَبيلُ

وإنْ هو لم يُرْشِدْكَ في كُلِّ مَسْلَكٍ ضَلَلْتَ ولو أنّ السِّماكَ دليلُ

١٤٠- المأمون وابنه العباس وامرأة متظلّمة

الحق أحقُّ أنْ يُتّبع

جلس المأمون يوماً للفصل في شؤون الأمّة، فحضرت في آخر الجلسة امرأة، وأنشدت بين يديه: [البسيط]

يا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهدَى له الرَّشَدُ ويا إماماً به قد أشْرَقَ البَلَدُ

تَشْكُو إليكَ عَميدَ القومِ أرملةٌ عدا عليها فلم يَتْرُكْ لها سَبَدُ
وابْتَزّ منّي ضِياعي بَعْدَ مَنْعَتِها ظُلْماً ففُرِّقَ عنّي الأهلُ والولدُ

فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها، وهو ينشد: [البسيط]

في دُوْنِ ما قُلْتِ زال الصَّبرُ والجَلَدُ عنّي وفُزِّعَ منّي القَلْبُ والكَبِدُ
هذا أذانُ صلاةِ العَصْرِ فانصَرفي وأَحْضِري الخَصْمَ في اليوم الذي أَعِدُ
والمجلسُ السَّبْتُ إنْ يُقْضَ الجلوسُ لنا نُنْصِفْكِ منهُ وإلاّ المجلسُ الأحَدُ

فلما كان يوم الأحد جلس، فكان المبتدئ بالدخول إليه تلك المرأة. فقال لها: أين الخصم السوء؟ فأومأت إلى العباس ابنه، فأجلسه معها مجلس الخصوم، وأخذا ينشئان رؤوس الدعوى، وكان كلامها يعلو كلام العباس. فقال لها أحد الحاضرين: اخفضي زئيرك. فقال المأمون: دَعْها، فإن الحق أنطقَها وأخرسه، فبقيت تئن بشكايتها أمام ملئه، حتى انتشر نبؤها في الجلسة، فنصرها على العباس.

١٤١- الكنز والعاثرون به

حب الدنيا رأس كل خطيئة

كان في غابر الزمان ثلاثة أشخاص سائرين، فوجدوا كنزاً يتلألأ أمام أعينهم، فمكثوا بجانبه وقالوا: قد جعنا واشتدّ ظمؤنا، وسئمنا من التعب فليمض امرؤ منا ليبتاع لنا ما نأكله، فمضى أحدهم، وبينما هو ذاهب، أضمر في نفسه لهما سوءاً يسوءهما به، وقال: الصواب أن أدسَّ السمّ في الدسم ليأكلاه، فيموتا، وأنفرد بالكنز دونهما. ثم أتبع القول بالفعل، وكان الرجلان الآخران متواطئين على أنه إذا رجع بالطعام قتلاه، وانفردا بالكنز دونه، فلمّا وصل إليهما، وثبا عليه وقتلاه، وأكلا من الطعام المسموم، فوقعا في سوء عملهما، فلما اجتاز بذلك المكان أحد الحكماء مع أصدقائه، قال لهم مشيراً إلى الكنز: هذه الدنيا، فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة، وبقيت بعدهم.

١٤٢- البرغوث والبعوضة

إن يكن الكلام من فضة فالسكوت من ذهب

اجتمع برغوث وبعوضة في ليل حالك. فقالت البعوضة للبرغوث: إني

لأعجب من شأني وشأنك، أنا أفصح منك لساناً، وأوضح بياناً، وأرجح ميزاناً، وأكبر شأناً، وأكثر طيراناً، ومع هذا فقد أضرَّ بيَ الجوع، وحرمني الهجوع، ولا أزال عليلة مجهودة، نائية عن الطريق مطرودة، وأنت تأكل وتشبع، في نواعم الأبدان ترتع. فقال البرغوث: أنت بين العالم مطنطنة، وعلى رؤوسهم مدندنة، وهأنذا توصّلت إلى قوتي بسبب سكوتي: [الكامل]

إنّ القليلَ مِنَ الكلامِ بأهْلِهِ ... حَسَنٌ وإنّ كثيرَهُ مَمْقوتُ
ما زَلَّ ذو صَمْتٍ وما مِنْ ناطِقٍ ... إلا يَزِلُّ وما يُعابُ صَمُوتُ
إنْ كانَ مَنْطِقُ ناطقٍ مِنْ فِضّةٍ ... فالصّمْتُ دُرٌّ زانهُ الياقوتُ

١٤٣- الأرنب والأسد

حسن الاحتيال يُنجي من الأهوال

كان أسد في أرض فيها فئة من الوحوش لم تنتفع بشيء مما فيها لخوفها من الأسد. فاجتمعن إليه، وقلن له: إنك تصيب منا الدابة بعد العبء الشديد، وقد رأينا أن نتخذك ملكاً، ونبعث إليك كل يوم دابة مؤونة غذائك.

فرضي الأسد بذلك، ثم أخذت الوحوش يقترعن ومن خرجت القرعة عليه بَعثن به إليه، وداموا على ذلك مدة إلى أن أصابت القرعة أرنباً، فانطلقت إليه ببطء حتى جاع وغضب وقال: من أين أقبلت؟ قالت: أنا رسول الوحوش إليك بعَثْتني ومعي أرنب لك، فتبعني أسد، فأخذها مني غصباً، فقلت له: إن هذا غذاء الملك أرسلته الوحوش إليه فلا تغصبنّه، فسبّك ولعنك. فأقبلت إليك لأنبئك بحقيقة هذا الصؤول[1].

فقال الأسد: انطلقي معي فأريني موضع هذا الأسد. فانطلقت معه إلى جبّ فيه ماء، فنظر فرأى ظله وظلّ الأرنب في الماء، فوثب إليه ليقاتله، فغرق في الجب، وانقلبت[2] الأرنب إلى الوحوش، فأعلمتهم صنيعها بالأسد، ففرحن كثيراً بنجاتهن من ذلك العدو السوء.

---

(١) الصَّؤول: مبالغة اسم الفاعل للصائل، والصائل هو الذي يسطو على الناس ويقهرهم.
(٢) انقلبت: رجعت، ومنه الآية الكريمة: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.

١٤٤- مجير أُم عامر والضبع

وضع الإحسان في غير موضعه

خرج فتيان يتصيّدون في البيداء، فصادفوا ضبعاً لجأت إلى مأوى امرئ يسكن تلك النواحي، فأقبل عليهم بالسيف مسلولاً ليبعدهم عنها، فقالوا له: لماذا تمنعنا من صيدنا؟ قال: لئن لم تنتهوا عن صيدها لأسفكنّ دماءكم، فتركوها وانصرفوا، وجعل يسقيها اللبن، ويعطيها مؤونة جيدة، حتى حسنت هيئتها، فبينما هو ذات يوم نائم، عَدَتْ عليه صؤولة بأنيابها، وشقَّت بطنه، وشربت دمه. فأنشد ابن عمه: [الطويل]

ومَنْ يَصْنَعِ المعروفَ في غيرِ أهْلِهِ ... يُلاقي كما لاقى مُجيرُ أمِّ عامِرِ
أَعَدّ لها لَمّا استجارتْ بقُرْبِهِ ... مَعَ الأَمْنِ ألبانَ اللِّقاحِ الدَّرايِرِ
فأَشْبَعَها حتّى إذا ما تَمَكّنَتْ ... فَرَتْهُ بأنيابٍ لها وأظافِرِ
فقُلْ لِذَوي المعروفِ هذا جَزاءُ مَنْ ... يُوَجِّهُ معروفاً إلى غيرِ شاكِرِ

١٤٥- المأمون وكاتب على حائط قصره

[الطويل]

إذا كُنْتَ في أَمْرٍ فَكُنْ فيه مُحْسِناً ... فعَمّا قليلٍ أنتَ ماضٍ وتارِكُهْ

أشرف المأمون يوماً على قصره، فرأى امرأ يكتب بفحمة على حائطه هذين البيتين: [البسيط]

يا قَصْرُ جُمِّعَ فيكَ الشُّؤْمُ واللُّؤْمُ ... متَى يُعَشِّشُ في أركانِكَ البُوْمُ
يوماً يُعَشِّشُ فيكَ البُوْمُ مِنْ فَرَحي ... أكونُ أوّل مَنْ يَنْعاكَ مَرْغومُ

فقال لبعض خدمه: أحضر هذا الرجل! فتوجه إليه، وقال: أجب أمير المؤمنين. فقال الرجل: سألتك بالرؤوف الرحيم ألاّ تذهب بي إليه: [البسيط]

فإنْ قَدَرْتَ فلا تَفْعَلْ سِوى حَسَنٍ ... بينَ الأنامِ وجانِبْ كُلَّ ما قَبُحا

فقال الخادم: لا بدّ من توجُّهك حالاً معي. فلما مثل بين يديه، قال: يا أمير المؤمنين، إنه لا يخفى عليك ما حواه قصرك من خزائن الأموال، وإني مررت عليه الآن، وأنا جائع، ولا فائدة لي فيه، فلو كان خراباً، ومررت به،

لم أعدم رخامة أو غيرها أبيعها، وأتقوّت بثمنها، ولا يعزب[١] عن علم أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، قول القائل: [الطويل]

إذا لم يَكُنْ لِلْمَرْءِ في دولةِ امْرِئٍ نَصِيْبٌ ولا حَظٌّ تَمَنّى زوالَهَا
وما ذاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهُ غَيْرَ أنّهُ يرى غيرَها خيراً فيهوى انتقالَها

فأمر له المأمون بألف درهم، وانصرف ينشد قول الشاعر: [الطويل]

وكُلُّ امرِئٍ يُوْلِي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

١٤٦- شاعر بين يدي بعض الخلفاء
الحسنة بعشر أمثالها

استدعى بعض خلفاء مصر علماء مملكته في يوم عيد لزيارته، فصادفهم شاعر في طريقهم، على كتفه جرة، ذاهباً إلى النيل ليملأها، فتبعهم حتى مثلوا بين يدي الأمير، فبالغ في تعظيمهم، ثم نظر إلى ذلك الرجل، والجرّة على كتفه، وقال: ما حاجتك يا هذا؟ فأنشد قائلاً: [الطويل]

ولَمّا رأيتُ القَوْمَ شَدُّوا رِحالَهم إلى بَحْرِكَ الطّامِي أَتَيْتُ بجرّتِي

فقال: املؤوا جرته ذهباً، فمُلئت، وخرج بها الرجل، وفرّقها على الفقراء، فبلغ ذلك الخليفة فاستحضره، وعاتبه على فعله، فأنشد ثانياً: [الطويل]

يَجودُ علَيْنا الخَيِّرونَ بمالِهم ونحنُ بمالِ الخَيِّرينَ نَجُوْدُ

فأعجب الخليفة بجوابه، وأمر أن تُملأ له عشرَ مرات، فقال الشاعر: الحمد لله، الحسنة بعشرة أمثالها.

١٤٧- القطّان والقرد
من اغتصب شيئاً حُرِم، ومن التجأ إلى قضاة السوء ظُلِم

اختطف قطان قطعة جبنة، واختلفا في قسمتها، فترافعا إلى القرد ليقسمها

---

(١) لا يعزب: أي لا يغيب عن فهمه أو علمه، ومنه الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

بينهما، فقسمها قسمين: صغيراً وكبيراً، ووضعَ كلاً منهما في كفّة ميزانه، فرجح الكبير، فقضم منه شيئاً بأسنانه وبلعه، وهو يتظاهر أنه يريد مساواته بالصغير، غير أنه لما كان ما أخذه زائداً عن القدر اللازم، رجح الصغير طبعاً، ففعل به ما فعله بذاك، ولم يزل هكذا حتى كاد يذهب بهما، فصاح به القطان: قد رضينا بهذه القسمة، فأعطنا ما بقي.

قال: إذا كنتما رضيتما بهذه القسمة، فإنّ العدل لا يرضى، وما برح يقضم القسم الراجح منهما حتى أتى عليهما، فرجع القطان خائبين آسفين ينشدان قول القائل: [الوافر]

إذا خـانَ الأمـيـرُ وكـاتِـبـاهُ ... وقاضي الأرضِ دَاهَنَ في القَضَاءِ

فـوَيْـلٌ ثُـمّ وَيْـلٌ ثُـمّ وَيْـلٌ ... لقاضي الأرضِ مِنْ قاضي السَّماءِ

١٤٨- المأمون والأعرابي

براعة في حسن السؤال

جاء أعرابي إلى المأمون وأنشد قائلاً: [الكامل]

إنّـي رأيـتُـكَ فـي مَـنـامـي سَـيّـدي ... يا ابْنَ الكِرامِ على الجَوادِ السّابِقِ

فكَسَوتَنِي حُلَلاً لَطائِفُ حُسْنِها ... يَزْهو على حُسْنِ الكُمَيْتِ اللاّحِقِ

فقال المأمون: أعطوه حللاً وفرساً. فقال: [الكامل]

وأَجَـزْتَـنِـي بِـخَـرِيـطَـةٍ مَـمْـلـوءَةٍ ... ذَهَـبَـاً وأُخْـرى بـالُـلـجَـيْـنِ الـفـائِـقِ

وحَـبَـوْتَـنِـي بـرَكُـوبَـةٍ نَـجْـدِيّـةٍ ... سَـوداءَ تَـنْـهَـضُ بـالـغُـلامِ الآبِـقِ

فأمر له بناقة نجدية سوداء وغلام وأربعمائة دينار، ثم قال له: إيّاك أيها الأعرابي، إيّاك أن ترى مثل هذا المنام مرة أخرى، فإنك لن تجد امرأً يعبّره ويُفسِّره لك.

١٤٩- شعراء مصر عند الوالي

كان من دأب شعراء مصر أن يأتوا الوالي كل سنة في عيد الأضحى، ليهنّئوه بالقصائد، فينالوا الجوائز، وبينما كانوا لديه، إذ هاجت العواصف،

وحدثت زلزلة ارتجّت منها ديار مصر، فالتفَتَ الوالي إلى أولئك الشعراء قائلاً لهم: هل منكم من يطرفنا بديهياً بشعر تطمئنّ به أفئدتنا، وتتلألأ به فرحاً وجوهنا، يكون مضمونه هذه الزلزلة؟

فقال بعضهم مرتجلاً: [البسيط]

يا حَاكِمَ الفَضْلِ إنّ الحقَّ متَّضِحٌ ... لدى الأنامِ أَيا بْنَ السّادَةِ النُّجَبا
ما زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِنْ كَيْدٍ أَلَمّ بها ... لكنّها رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُم طَرَبا

فمُلئ الوالي سروراً، وقال: املؤوا فمه لآلئاً وذهباً.

١٥٠- أبو دلف وجاره

خذ الجار قبل الدار

يروى أن رجلاً كان جاراً لأبي دلف ببغداد، فأدركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره، وطلب ثمناً لها ألف دينار، فقالوا له: إن دارك لا تساوي أكثر من خمسمائة دينار. فقال: أجلْ، ولكنّني أبيعها بخمسمائة، وأبيع جوارها بخمسمائة، فبلغ القول أبا دلف، فأمر بقضاء دينه، ووصله وواساه. ولله در القائل: [الطويل]

يَلومونَنِي أنْ بِعْتُ بالرُّخْصِ منزلي ... ولم يَعْلَموا جاراً هناكَ يُنَغِّصُ
فقُلْتُ لهم كُفُّوا الملامَ فإنّما ... بجيرانها تَغْلو الدِّيارُ وتَرْخُصُ

١٥١- المهلب بن أبي صفرة وأولاده

القوة في الاتحاد

لَمّا أشرف على الوفاة المهلب بن أبي صفرة، أحد رؤساء جيش عبد الملك بن مروان، استدعى أبناءه السبعة، وبذل لهم النصائح التي تنفعهم دنيا وأخرى. ثم أمرهم بإحضار رماحهم مجتمعة، وتقدّم إليهم أن يكسروها واحداً فواحداً، مبتدئاً بأصغرهم، فلم يقدروا.

فقال لهم: فرّقوها، وليتناول كلّ واحد رمحه ويكسره، فكسروها دون كبير عناء، فعند ذلك قال لهم: اعلموا أن مثلكم مثل هذه الرماح، فما دمتم

مجتمعين ومؤتلفين يعضد بعضكم بعضاً، لا تنال منكم أعداؤكم غرضاً، أما إذا اختلفتم وتفرقتم، فإنّه يضعف أمركم، وتتمكن منكم أعداؤكم، ويصيبكم ما أصاب الأرماح: [الكامل]

كُونوا جَميعاً يا بَنِيَّ إذا اعْتَرى ... خَطْبٌ ولا تَتَفَرَّقوا آحادا

تأبَى الرِّماحُ إذا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّراً ... وإذا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أفرادا

١٥٢-التاجر والوالي
الإعتراف والإقرار أولى من الإنكار

كان امرؤ من التّجّار يستحمّ في نهر، وقد وضع صرّة مملوءة لآلئ وأموالاً، كانت معه على شاطئ ذلك النهر، فجاءت حِدأة[١]، والتقطت الصرّة وطارت، فجرى وراءها لينتشل منها ما اختلسته حتى أعيا، لبطء حركته وسرعة طيرانها، فكاد يطير عقله، وقصد إلى والي البلدة، وأنبأه بذلك مؤمِّلاً منه أن يجد له صرّته. فسأله الوالي: إلى أيّ الأنحاء كان اتجاه الحدأة؟ فأومأ إلى بعض القرى، فقال له الوالي: اذهبْ، وأْتِني بعد أيام. فأتمر بأمره. ثم أنفذ الوالي إلى رئيس تلك القرية أن أنبئني بمن أثرى في قريتك الآن بعد أن كان في بؤس. فأنهى: إن فلاناً كان ضئيل الحال فأصبح ذا فَرَه[٢] ونعمة كأولي الغنى، فأمر بإشخاصه. فلما انتهى إليه قال له: أين صرّة اللآلئ والأموال التي وقعت عندك يوم كذا؟ فقال الرجل في نفسه: علامَ أُنكر والوالي عالم بالمسألة؟ فأقرّ بها، وقال: هي عندي برمّتها، لم آخذ منها غير بعض دريهمات صرفتها في إصلاح شؤوني، لئن شئت سامحتني بها، فأبرأ ذمته منها، وكافأه على صدقه، وقال: لو أتيتني بالصرّة من غير سؤال مني، لأجزلت لك المكافآت. ثم ردّها إلى صاحبها، وعوّض له ما فقد منها.

١٥٣- التاجر وابنه الصادق الأمين
الدين المعاملة

أرسل تاجر ابنه إلى بعض عملائه بصرّة فيها مبلغ كان متأخّراً له عليه من

---

(١) الحدأة: طائر كبير كالصقر، وهو يتغذى على صغار الحيوانات.
(٢) الفره: من الرفاهية والاتساع في الرزق.

ثمن بعض البضائع، وفيما هو سائر بها، وقعت منه على شاطئ نهر، ولم يشعر بفقدها إلا قرب وصوله إلى محلّ قصده، فآب عوداً على بدء يبحث عنها، فجلس تحت شجرة نائحاً قائلاً:

ربّي إني ضئيل سيّئ الحظ، لا عاضد لي سواك، فأرشدني إلى ضالّتي كي أشكر فضلك وبَوّئني مبوأ صدق، إنك المبدئ المعيد: [الكامل]

يا مَنْ يُرَجّى في الشّدائدِ كُلُّها ... يا مَنْ إليهِ الْمُشْتَكى والْمَفْزَعُ
ما لي سِوى قَرْعي لِبابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فأيُّ بابٍ أَقْرَعُ

فاتفق وقتئذ أن مرَّ أمير من الأمراء، فسمع بكاءه، فدنا منه، وسأله عن سبب بكائه، فقصّ عليه قصّته. فأخرج الأمير من جيبه صرّة حسنة فيها لآلئ ذهبية، وقال له: أهذه؟ فنظر إليها الولد، وقال: لا. فأخرج الأمير صرة أخرى كان قد عثر عليها، وسأل الولد: أهذه؟ فقال: نعم، هي بعينها. فأعطاه الأمير إياها، وأضاف إليها الأولى بما فيها جزاء صدقه، وأنشد قول القائل: [البسيط]

أجَلُّ لِلمرءِ مِنْ مَجْدِ الغِنى شرَفاً ... مَجْدُ الوفاءِ وتَقْوى الله والكَرَمُ
وأَرْفَعُ الناسِ عندَ اللهِ مَنْزِلَةً ... مَنْ لم يكنْ لحُقوقِ الناس يَهْتَضِمُ

١٥٤- هشام وفتى صغير

من عرف بالفصاحة لاحظته العيون بالوقار

وفد على هشام رؤوس القبائل، فجلس لهم، ودخلوا عليه، وكان فيهم فتى يبلغ أربع عشرة سنة، وكان في رأسه ذؤابة، وعليه عباءة، وفي يده مِنسأة. فنظر إليه هشام، والتفت لحاجبه، وقال له: ما شاء امرؤ أن يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان، فوثب الفتى بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، إن دخولي عليك لم يحط بقَدْرك ولكنه شرّفني، وإن هؤلاء الوفود قد ائتمنوني وائتمّوا بي، وقدموا في أمر، فهابوك دونه، وإن للكلام نشراً وطيّاً، وإنه لا يُعرف ما في طيّه إلا بنشره. فإن أذن أمير المؤمنين أن أنشره، نشرته.

فأعجبه كلامه، وقال: انشره. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه أصابتنا سنون

ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقّت العظم. وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله، ففرّقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلامَ تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم، فتصدّقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدِّقين. فقال هشام: ما ترك الغلام لنا في واحدة عذراً، وأمر له ولهم بالصِّلات الجزيلة.

١٥٥- الحجاج وعامله

لا تقصروا أولادكم على آدابكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم

لَمّا تولى الحجاج شؤون العراق، أمر مرؤوسه أن يطوف بالليل، فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه، فطاف ليلة، فوجد ثلاثة صبيان، فأحاط بهم، وسألهم: من أنتم، حتى خالفتم أوامر الرئيس؟

فقال الأول: [المنسرح]

أنا ابْنُ الَّذِي هانَتِ الرِّقابُ لَهُ ... ما بَيْنَ مَخْدومِها وهاشِمِها

تأْتِي إليهِ الرِّقابُ صاغِرَةً ... يَأْخُذُ مِنْ مالِها وَمِنْ دَمِها

فأمسك عن قتله، وقال: لعله من أقارب الأمير.

وقال الثاني: [الطويل]

أنا ابْنُ الَّذي لا يُنْزِلُ الدَّهْرُ قدْرَهُ ... وإنْ نَزَلَتْ يوماً فسَوْفَ تَعودُ

ترى النَّاسَ أفواجاً إلى ضَوْءِ نارِهِ ... فمِنْهُمْ قِيامٌ حَوْلَها وقُعودُ

فتأخّر عن قتله، وقال: لعله من أشراف العرب.

وقال الثالث: [الطويل]

أنا ابْنُ الَّذي خاضَ الصُّفوفَ بعَزْمِهِ ... وقَوّمَها بالسَّيْفِ حتّى اسْتَقامَتِ

رِكاباهُ لا تَنْفَكُّ رِجْلاهُ عَنْهُما ... إذا الخَيْل في يوم الكَرِيْهَةِ وَلَّتِ

فترك قتله، وقال: لعله من شجعان العرب.

فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج، فأحضرهم، وكشف عن حالهم، فإذا الأول ابن حجّام، والثاني ابن فوّال، والثالث ابن حائك. فتعجّب

الحجاج من فصاحتهم، وقال لجلسائه: علّموا أولادكم الأدب، فلولا فصاحتهم لضربت أعناقهم، ثم أطلقهم، وأنشد[١]: [المنسرح]

كُنِ ابْنَ مَنْ شِئْتَ واكْتَسِبْ أَدَباً ... يُغْنِيكَ مَحْمودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إنّ الفتى مَنْ يقولُ هَأنَذا ... ليسَ الفتى مَنْ يقولُ كانَ أَبِي

١٥٦- محمد بن هلال والمعمر

احتقار الصغير من عدم التدبير

قال محمد بن هلال: بعث إليّ المعمر برسالة يطلب مني بغلة مسرَّجة، ولم تكن منزلته عندي منزلة مرعية، فرددت الرسالة، ولم أجبه عنها. ثم إنه بعثها إليّ وعلى ظهرها مكتوب: [الطويل]

عَسى سائِلٌ ذو حاجَةٍ إنْ مَنَعْتَهُ ... مِنَ اليومِ سُؤْلاً أنْ يكونَ لَهُ غَدُ
فإنّك لا تَدري إذا جاءَ سَائِلٌ ... أَأَنْتَ بِما تُعْطيهِ أوْ هُوَ أسْعَدُ

فأعدتها إليه من غير جواب، كما فعلت أولاً، حتى ضرب الدهر ضرباته، فصرف العلاء، ووزر المعمر، وكنت إذ ذاك متولّياً شؤوناً شتى، فأنفذ إليّ من أشخصني إلى شيراز، فوردت عليه، وأنا لا أشك في قتلي لما تقدم من سوء فعلي معه، فقرّبني وأكرمني أيّاماً وأنا من شأنه مُتَعجِّب. فلما كان بعد أيام، قمت من مجلسه منصرفاً، فاتَّبعني الحاجب، وقال: الوزير يريد أن يخلوَ بك، فلمّا خلا مجلسه، استدعاني، وأسرَّ إلى بعض خدمه شيئاً.

فمضى وعاد، ومعه الرسالة بعينها، فلما أتى، قرأت بحيث لا يسمع: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[٢]، فقال لي: لا تُرَعْ، أوقفتك على سوء فعلك حتى لا تستصغر بعدها أمراً، ولا تطرح مراعاة العواقب، فيصير الدهر لك غير صاحب، وليكن هذا الفعل لأخلاقك مهذّباً، ثم خلع عليّ، ووصلني، وردني إلى منصبي.

---

(١) الأبيات للإمام الشافعي.
(٢) سورة مريم: الآية ٢٣ .

وما أحسن قول القائل: [البسيط]

لا تَحْقِرَنّ امْرَأً قد كانَ ذا ضَعَةٍ ... فكم وَضِيعٍ مِنَ الأقوامِ قَدْ رَأَسا

فرُبَّ قومٍ جَفَوْناهُمْ فلَمْ نَرَهُمْ ... أهلاً لخِدْمَتِنا صاروا لَنَا رُؤُوسا

١٥٧- أنوشروان ووليّ عهده

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه

لما أراد أنوشروان أن يولّي وليّ عهده، استشار أولياءه في ذلك، فكلٌّ ذكر عيباً لا يستحق به الملك، فمن قائل: لا يصلح للملك لأنه قصير، وذلك مما يذهب بهاء الملك، فقال أنوشروان محتجاً: لا يكاد يُرى إلا راكباً أو جالساً على سريره، فلا يظهر عليه ذلك. ومن قائل: إنه ابن رومية، والملك إذا كان ابن أمَة، نقصه ذلك في أعين الناس. فقال أنوشروان محتجاً: إن الأبناء يُنسبون إلى آبائهم، ولا يُنسبون إلى الأمهات، فلا يضره ما قلت. فقال المرزبان: إن فيه عيباً وهو أنه مبغض للناس. فقال أنوشروان عند ذلك: هذا هو العيب الذي لا مدح معه ولا عذر عنه، والداء الذي لا برء له. فقد قيل: من كان لا يحب الخير للناس ويرتضيه، فلا خير فيه.

١٥٨- امرؤ القيس وقيصر الروم والسموءل

لا يفي بالعهود إلا كل حر معهود

لما أراد امرؤ القيس المضيّ إلى قيصر الروم، أودع عند السموءل دروعاً وسلاحاً وأمتعة، تساوي من المال ثلثمائة ألف دينار، فلمّا مات امرؤ القيس، أرسل قيصر يطلب الأشياء المودعة عند السموءل، فقال: لا أدفعها إلا لمستحقّها، ولا أغدر بذمتي، ولا أخون أمانتي، ولا أترك الوفاء الواجب عليّ، فقصده قيصر بعسكره، فدخل السموءل في حصنه، فحاصره قيصر، وأخذ ولده أسيراً، وقال للسموءل: إن ولدك ها هو معي، فإن أسلمتَ إليّ الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، سلّمتُ إليك ولدك، ورحلت عنك، وإن امتنعتَ من ذلك، ذبحتُ ولدك وأنت تنظر، فاخترْ أيهما شئت، فقال السموءل: ما كنت لأخفر ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئت.

فذبح ولده وهو ينظر، ثم عجز عن الحصن، ورجع خائباً. فلما جاء الموسم، وحضرت ورثة امرئ القيس، سلّم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحبَّ إليه من حياة ولده وبقائه. وقتئذ صارت الأمثال تضرب بالسموءل في الوفاء، وقد قال في قصيدته المشهورة: [الطويل]

إذا المرْءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْم عِرْضُهُ ... فكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَميلُ[1]

وإنْ هُوَ لم يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها ... فليسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ

* * *

(١) يدنس: يتوسخ ويتلطخ.